464

HARLEQUIN

روايات أحلام

عطش السنين

رينيه روزيل

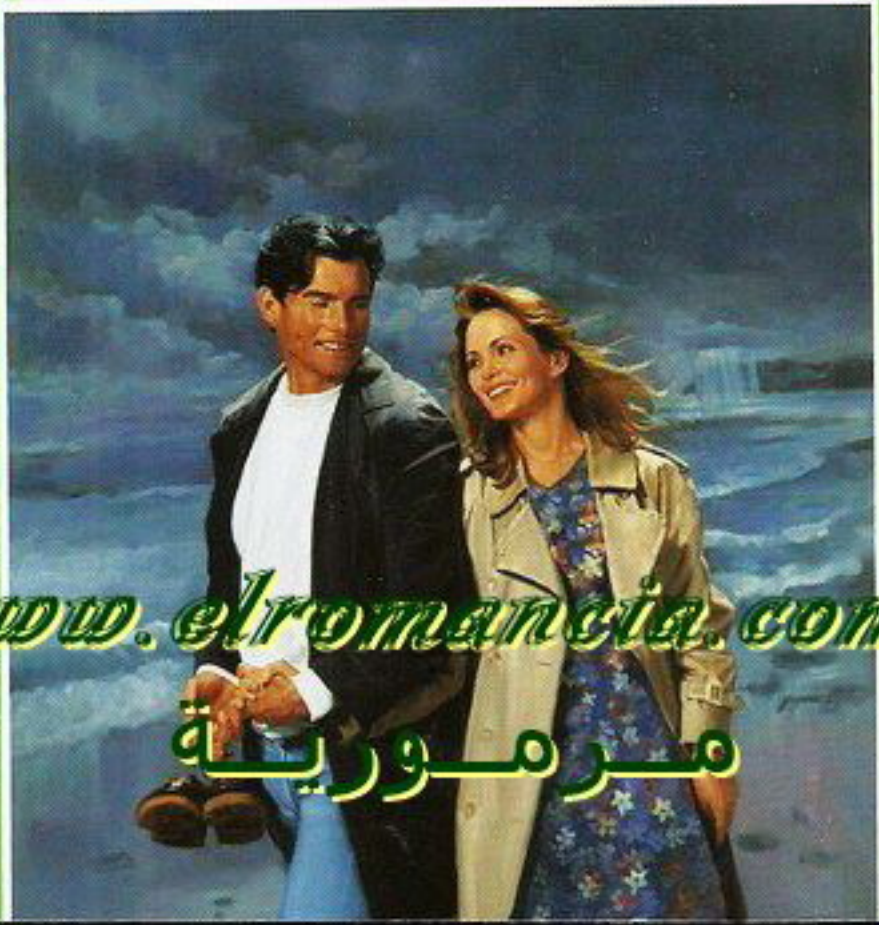

www.elromancia.com
مرمورية

عطش السنين

كانت كيم متلهفة دوما إلى الزواج والاستقرار، لكن عبثاً كانت تحاول النجاح في أي علاقة...

والآن، بعد أن هجرها خطيبها، تلهفت إلى رؤية الرجل الذي لم يهجرها قط... جاكسون جيدون أعز أصدقائها.

دوما كانت كتف جاكسون جاهزة لتبكي عليها... لكنه أحبها دائماً، ومع هذا كان يقف جانباً، ناظراً إليها تسير في الحياة بدونه... حتى الآن!

وأخيراً قرر أنه إذا لم يستطع أن يحصل على كيم في حياته، فسيخرجها منها؛ ولكن كيم كانت قد بدأت ترى ناحية جديدة من جاكس... ناحية صدمت مشاعرها؛ فهل يمكن أن تتحول صداقتهما القديمة إلى حب... أو عداوة؟

رينيه روزيل

تؤلف رينيه روزيل الروايات منذ 20 سنة وهي تكاد لا تصدّق أنها تحقق حلمها المهني منذ هذا الوقت. لقد سافرت إلى بلدان بعيدة غريبة. زارت الاتحاد السوفياتي قبل أن يتفتّت وبرلين الشرقية قبل انهيار السور بين الألمانيتين. كما ساحت في مناطق الهنود في أميركا ومارست رياضة الغطس في هاواي وجزر كايمن وفلوريدا. يعيش أولادها في إيلينوي وفلوريدا، فتزورهم من وقت لآخر. وهي الآن تبني لها ولزوجها منزلاً في غراند ليك شمال غرب أوكلاهوما، حيث تتشوّق لمتابعة الكتابة في حضن الطبيعة الهادئة. تحب رينيه التواصل مع قرّائها الذين يمكنهم مراسلتها عبر موقعها الإلكتروني:

www.Renee Roszel.com.

١ ـ ارحلي عن حياتي

جثت كمبرلي على ركبتيها في الغرفة الخالية، وقد تملكتها الصدمة، وتمتمت ذاهلة: «هذا غير ممكن. لا يمكن أن أصدق أنه رحل. كنت أظن....».

وابتلعت كلماتها... بدا واضحاً أن تفكيرها خطأ. فحبيبها طوال السنتين الماضيتين، والذي كانت تعتقد أنه (رجلها)، رحل وأخذ معه كل شيء.

من حيث جلست على الأرض الخشبية الباردة، عادت فألغت كلمة كل شيء، فالهدايا التي قدمتها له أثناء السنتين الماضيتين مكومة الآن بشكل أنيق بالقرب من القمصان الرياضية، وزجاجات العطر غير الفارغة تماماً.

ولاحظت غائبة الذهن لوحتين تمثلان منظرين طبيعيين ابتاعتهما عندما أغلق مخزن للأثاث أبوابه. وأخذت تحدق بجمود في كومة الهدايا المرفوضة فلاحظت ورقة مطوية تحت إحدى زجاجات العطر.. كان الخط خط بيري. فتحت الورقة وهي تتمتم: «إذا كنت تقول إنك رحلت يا حبيبي، فهذه الورقة ذهبت سدى إذ سبق وأدركت هذا».

وخنقتها غصة وهي ترجو الله أن تحمل هذه الورقة توضيحاً. وسرعان ما تملكها الأمل في أن تقرأ: «حبيبتي، انتقل عملي إلى

باريس. لم أستطع الاتصال بك. الحقي بي في أسرع وقت. لم أستطع أن أضع في حقيبتي هذه الأشياء الغالية على قلبي في حقيبتي. أحضريها معك، أرجوك».

فتحت الورقة بتردد بالغ وهي تحدث نفسها: «تابعي أحلامك، يا كمبرلي..».

جلست على الأرض شاعرة بعدم ارتياح بالغ، ومدّت ساقيها أمامها ثم بسطت الورقة على فخذيها وقد ازداد ترددها في قراءة فحواها.

لقد عادت من رحلتها مليئة بالبشائر والخطط للاحتفال.

مهنتها الحديثة بصفتها منظّمة أحداث اجتماعية، تطوّرت اليوم بشكل جيد بعد النجاح الكبير لمؤتمر إخصائيي أمراض العظام في مدينة «لاس فيغاس». وهذا المؤتمر الذي نظمته بنفسها، وأكسبها زبوناً جديداً هو صاحب سلسلة مخازن كبرى طلب منها أن تخطط للمؤتمر التالي الذي ستعقده شركته في شهر كانون الثاني. وهذا يعني عطلة طويلة تستحقها تماماً.

وهكذا، توقعت عشاءً هادئاً هذه الليلة... عشاءً شاعرياً على ضوء الشموع أمام نيران المدفأة المتأججة.

ونظرت إلى المدفأة المصنوعة من الآجر، والباردة، وغالبت دموعها. وأرغمت نفسها على النظر إلى ورقة بيري وقرأت: «ربما ستكرهينني لتصرفي هذا، لكن عليك ألّا تدهشي، فطالما ناقشنا هذا الأمر. واجهي الحقيقة «يا كيم»، وهو أنك تخشين الالتزام. أردت أن نتزوج لكنك بقيت تتملصين. حسناً، لقد وصلت إلى ما أريد ووجدت المرأة التي لا تخاف من الالتزام. أتمنى لك حظاً

سعيداً في حياتك».

وكان التوقيع (بيري).... بكل بساطة.

لكنه أتبع ذلك بكلمات كتبها بسرعة: (هذا إلى أنني لن أبلغ المستوى أبداً).

وتمتمت «كيم» حائرة تعيسة: «لن يبلغ المستوى أبداً؟ ماذا يعني؟ أي مستوى؟ مستوى من؟».

ومسحت دموعها، وعادت تحدق في هذه الجملة غير الواضحة، محاولة أن تفهم.. أن تفكر في هذه الثغرة في حياتها، ورفعت بصرها محاولة أن تستوعب هذا الفراغ المفاجئ. وتناولت من زجاجة العطر المفضل لديها وأخذت ترش منها، ثم تتنشقه ليتراءى لها على الفور... طويل أشقر قوي العضلات، على وجهه ابتسامة عريضة تعكس الرضا عن النفس تثير عواطفها. وفجأة، تضايقت من تلك الصورة المغرورة، فلوحت بيدها، محاولة أن تطرد صورته من الغرفة. وتمتمت وهي تمسح يدها بتنورتها لأنها لا تظن نفسها قادرة على استنشاق تلك الرائحة مرة أخرى:

- أنت كريه يا بيري... وحقير وجبان.

لم تشأ أن تصدق أن تلك الورقة التي قرأتها تحمل شيئاً من الحقيقة! تخاف الالتزام؟ هذا غير صحيح أبداً. صحيح أنهما ناقشا مسألة الزواج عدة مرات. لكنها شرحت له بصبر أنها غير جاهزة لذلك. لم تكن تحب القتال، ولم تدع نقاشهما بشأن الزواج يصل إلى مستوى الجدل. لكن كلما ناقشا هذا الأمر، كانت تبتعد عن هذه الفكرة أكثر. لا يمكنهما أن يصبحا منسجمين

أكثر مما هما عليه الآن.. إنهما يستمتعان بالأفلام نفسها والموسيقى نفسها والمطاعم الصينية نفسها! لماذا عليه أن يهز الزورق؟ إنه يعرف أن الاختلاف في الرأي يضايقها، والغضب يدمّرها.

ألم تر ما يكفي مع أمها التي عرفت العديد من الأزواج؟ كل واحدة من علاقات أمها كانت سعيدة في البداية، ولكنها سرعان ما تنهار فنشأت تكره القتال، ويزداد ترددها كلما ألحّ بيري على مسألة الزواج.

وأخذت نفساً مرتجفاً وعادت إلى رسالته الموجزة تقرأ فيها (لن أبلغ المستوى أبداً).

يبلغ المستوى؟ وحاولت أن تفهم ما يعنيه في ذلك. المستوى! وعادت تهز رأسها بحيرة. وفي جلستها تلك، وبعد أن ساد الغرفة الظلام عادت بها الأفكار إلى الماضي، إلى جارها، إلى أفضل صديق لها طوال سنوات نشأتها، إلى «جاكسون جيرون» الذي يكبرها بثلاث سنوات.

لطالما كان طويل القامة. وربما أنها لم تعرف أباً محباً في حياتها، كان جاكس الرجل الذي تهرع إليه باكية كلما تعرضت للأذى وكلما نبذها حبيب، أو حتى عندما تنبذ هي حبيباً فتشعر بالوحدة والفراغ.

كان جاكس أيضاً هو الفتى الذي تهرع إليه عندما تربح شيئاً ما، أو حين نشرت صحيفة صورتها بعد أن كتبت أحسن مقالة لمسابقة على مستوى المدينة. وكانت أمها من اللهفة والشوق إلى آخر زوج لها بحيث لم تلاحظ ذلك، لكن جاكس بدا سعيداً

تماماً لأنها ربحت رغم أنه اشترك في المسابقة هو أيضاً. وبما أنّ عقله علمي رياضي، بخلافها هي، لم تتأثر علاقتهما قط.

وعاودتها ذكريات الطفولة المليئة بشخص جاكس، فشعرت بالدفء يكتنف قلبها البارد المستوحش. من الغريب أن لجاكس مكاناً في قلبها ما يجعل مجرد الحديث معه يهدئ مشاعرها. ولم تستطع أن تصدق أنها ابتعدت عنه طوال السنوات العشر الماضية. عشر سنوات؟ هل ابتعدت حقاً عنه إلى هذا الحد؟

حسناً، إنها تلوم جاكس، فهي مازالت تعيش في بيتها في «سانت لويس» بينما انتقل هو إلى جامعة «إيفانستون» ليعيش في ضاحية «شيكاغو». لقد كبرا الآن، وهو يعيش حياته كما تعيش هي أيضاً حياتها. وكان لا بدّ من أن يفترقا وهذا أمر محزن فبإمكانها أن تستفيد من مواساته لو أنه مازال يعيش بجانب بيتها.

عندما كانت في المدرسة الثانوية، خرجا معاً مرات عدة، لكنها لم تجرؤ على اعتباره أكثر من صديق، وبالتالي قاومت فكرة إقامة علاقة عاطفية معه. فالمرأة يمكن أن تفقد الحبيب، لكن جاكس هو صديقها الوحيد وموضع ثقتها طوال حياتها.

زيجات أمها المتعددة وما حفلت به من خلافات وشجارات وفشل أفزعتها. كرهت هذا التحوّل في أوضاعها ما جعلها ترى في جاكس صخرتها وعزاءها وراحتها. كان يفزعها أن ترفعه إلى مستوى الحبيب فيلقي بها ذلك في الفوضى والتشوش فأمضت معظم صباها لا يمكنها أن تغامر بذلك.

تساءلت عما يفعله جاكس هذه الأيام. بعد تخرّجه، لم تعد تعلم نوعية العمل الذي يزاوله الآن. لعله يعمل في مجال

الاستشارات، كما سمعت، ولا زال في شيكاغو.

آخر مرة رأته فيها كانت عندما انفصلت عن خطيبها براولي. كان جاكس في سنته الثالثة في منطقة الشمال الغربي، فيما ابتدأت هي لتوها دراستها في الكلية المهنية. وعندما ظنت أن حياتها انتهت استقلّت الطائرة إليه حيث هو، فأخذ يواسيها كالعادة قائلاً: «إن ذلك في مصلحتها ربما».

أدركت في ما بعد أن قوله ذاك كان صائباً تماماً. وبعد أسبوع من البكاء على كتفيه القويتين العريضتين، عادت إلى سانت لويس، تاركة جاكس في موقعه الأساسي الصلب، وهو (الصداقة).

وحدّقت في الفراغ، فعادت إلى البكاء وأخذت تعاستها تتحوّل إلى الغضب، وصرخت: «لِمَ فعلت هذا يا بيري؟ لماذا تتسلل هارباً أشبه بلصٍ في الليل؟».

وفجأة تملكتها نوبة جنونية. صدمة رحيل بيري هي أسوأ كارثة في حياتها. إذا كانت بحاجة إلى جاكس، فهذا هو الوقت المناسب. سيضحكان ويتحدثان... وسيستعيدان ذكريات الأيام الماضية الحلوة.

وسرعان ما أخرجت هاتفها الخلوي من حقيبتها وطلبت رقم دليل الهاتف ثم تنحنحت محاولة التظاهر بالهدوء: «هل يمكنني الحصول على رقم «جاكسون جيدون» في شيكاغو؟».

وعندما حصلت عليه، طلبته على الفور. رن جرس الهاتف... ثم سمعت رسالة تقول (جاكسون جيدون غير موجود حالياً، الرجاء ترك رسالة وسيجيبك عليها).

استطاعت أن تبتسم ابتسامة مرتجفة عند سماعها صوته. كانت رسالته قصيرة ومباشرة، وتمنت لو تستطيع أن تروي له قصتها بدون الانفجار في البكاء. وقالت هامسة تقريباً: «مرحباً، يا جاكس. أيمكنك أن تخمن المتكلم؟»..

وضحكت بارتباك. بدا صوتها غريباً في أذنيها وبالغ الاكتئاب: «آسفة لا أستطيع أن أجعلك تخمّن. لقد طال بعادنا. أنا «كيم». اسمع... أنا...».

وسكتت فجأة مترددة... ثم تابعت: «أفضّل أن آتي لأراك. لقد طال بعادي عن صديقي جاكس».

وابتسمت لهذه الفكرة الذكية. إنه جاكس، وجاكس وحده يجعلها تبتسم. وعادت تقول:

- لا بأس إذن. أراك في أقرب وقت.

وضعت السماعة وسارت إلى المدخل حيث ألقت بحقيبة ملابسها ثم توقفت، واستدارت. رفعت بين ذراعيها كومة قمصان بيري، وألقت بها في المدفأة وهي تتمتم بأنها ستساعد في إضرام نيران المدفأة في المرة القادمة.

وأسرعت عائدة إلى الباب، حاملة الحقيبة التي كانت ملأتها منذ فترة: «الآن سأستقل أول طائرة متجهة إلى شيكاغو».

* * *

كان جاكس مرهقاً للغاية عندما عاد من حفلة عشاء ذلك الزبون الممل. كانت مكاسبه بصفته مستشاراً للطاقة الإنتاجية جيدة أحياناً، مادياً ومعنوياً. وفي أحيان أخرى، كهذه الليلة مثلاً، يكون إقناع الزبون صعباً كقلع الضرس.

تمتم وهو يخلع سترته ويلقي بها إلى الأريكة: «إنه يريد خبرتي، لكنه لا يصغي لما أقول...!». وفيما هو يفك ربطة عنقه لاحظ أن المجيب الآلي يومض. هذا غريب! الكل يعرف رقم هاتفه الخلوي، حتى أنه لا يعرف لما يحتفظ بالمجيب الآلي الإجابة أو حتى بخط الهاتف. لكن في الواقع ليس لديه الوقت الكافي ليتخلص منهما. وضغط الزر ليسمع الرسالة.

وما أن سمع فيها ذلك الصوت حتى جمدت يداه وهما تفكان ربطة عنقه، إنها كيم.

بعد كل تلك السنوات التي لم يتلق فيها سوى بطاقات معايدة منها! إنها كيم بصوتها المألوف الذي أصبح جزءاً منه... جزءاً أحبه وكرهه في وقت واحد. وعندما انتهت الرسالة، تراجع خطوتين وهو يترنح قليلاً، ثم جلس على سريره متثاقلاً: «يا لجهنم!».

لم يعرف جاكس في حياته سوى حب واحد حقيقي هو حبه لكيمبرلي نورمان. في صغره كان عنيفاً للغاية، ودائم الذهول وعديم التركيز. وفي المدرسة الثانوية كانت تنقصه الفطنة واللباقة الإجتماعية. لكن كيم كانت صديقته التي تضحك دوماً لنكاته. ولم يكن يبدو عليها الملل قط وهما معاً، كما بدا أنّ كيم لم تلاحظ عيوبه أبداً.

كان يعرف نشأتها غير المستقرة في بيتها ما يجعل صحبته أهون الشرين. إنما كان يبدو عليها السرور الصادق وهي بقربه. وكان هو يعشق وجودها معه. كانت كيم جارته النمشاء الوجه بهجة نهاره. لا يظنها ستعلم يوماً مدى جمالها أو مقدار سروره

عندما تبتسم له. في مطلع شبابه كان يعبدها بصمت، ومرت سنوات كان يرجو أثناءها أن تتطور علاقتهما إلى أكثر من مجرد صداقة. وبعد أن خرجا معاً مرات عدة، واجه حقيقة أن كيم تريده مجرد صديقٍ ليس إلا. وعندما أصبحت في السابعة عشرة، تحوّل لون شعرها الجزري إلى بني بأمواج حمراء مغرية للغاية. وبقدر كرهها للنمش على أنفها ووجنتيها، إلاّ أنه كان يضفي مزيداً من الجاذبية على ملامحها الرقيقة.

عندما تأتي إليه كلما انفصلت عن أحد أصدقائها، كان يواسيها شاكراً لها منحه هذا الجزء منها. لكن وجودها بقربه وهو يدرك أنها تهتم به، لكن ليس كما يريد الرجل أن تهتم به المرأة، كان يضنيه وينهكه. لقد أصبح رجلاً الآن، والرجل لا يستطيع أن يحتمل المزيد من ذلك.

لهذا السبب هجر «سانت لويس»، وأغرق نفسه في العمل، ثم ترك عمله في السمسرة ليصبح مستشاراً ويدفن نفسه في مشروعه الجديد هذا آملاً أن ينسى كيم ويقابل يوماً ما امرأة يمكنها أن تملأ الفراغ في قلبه. لكن هذا لم يحدث لسوء الحظ.

حدق في جهاز الهاتف، لكن ضوء الرسالة لم يعد يخفق. حلّ ربطة عنقه وألقى بها جانباً ثم أخذ يفك أزرار قميصه، وتوقف ليتخلل شعره بأصابعه. منذ دقائق كان يشعر بالضجر والإنهاك، لكنه الآن يحترق بمزيج جنوني من المرارة والشوق. ما الذي سيفعله؟ وحدّث نفسه بأنه سيتصل بها ليخبرها أنه سيرحل عن المدينة في عمل. ووقف واتجه نحو الهاتف ليرى رقم هاتفها وهو مازال يحدث نفسه بأن يغادر المدينة مدة...

شهر.

رفع السماعة وبدأ يطلب الرقم، لكن أصابعه راحت تبطئ مع كل رقم يضغط عليه حتى وصل إلى الرقم الأخير. وصرف بأسنانه، ما الذي حدث له؟ أليس عليه أن يضغط عليه قبل أن تخرج من بيتها؟

وأجفل لفكرة خطرت له. نظر إلى وقت اتصالها ثم نظر إلى ساعة معصمه، وزفر بعنف وهو يضع السماعة. إذا كان يعرف كيم جيداً، فهي في طريقها إلى هنا.

وتصاعد رنين جرس الباب فاستدار باتجاه الصوت وقد امتلأ استياءً وحنقاً، شوقاً إليها. خرج من الغرفة وهو ينفجر قائلاً بإحباط: «تباً لك يا كمبرلي..... لا أريد أن أكون المواسي لك بعد الآن. إن لم تستطيعي تكوني حياتي، فمن الأفضل أن ترحلي عنها».

وتوجه إلى الباب الخارجي يفتحه وهو يؤكد مع كل خطوة، رغبته في مقاومتها.

لكن، هل يمكنه ذلك؟... هذه المرة؟

- يمكنك ذلك طبعاً، أيها الحمار الغبي.

وفتح الباب وقد ملأته الشكوك... والتوتر.

٢ - بر الأمان

ما أن فتح جاكس الباب حتى ارتمت بين ذراعيه وأحاطت رقبته بذراعيها. أغمض عينيه بشدة متألماً. لم يكن سلوكها هذا يعزز تصميمه على مقاومتها. وتنفس بعمق وقد أضعفت رائحة عطرها مقاومته. وتأوه في داخله، غير مركز تماماً على ما تقوله.

تنهدت وقالت: «جاكس كان فراقاً طويلاً وقد اشتقت إليك».

سكتت باسمة وقد التمعت عيناها الخضراوان وكأنهما اغرورقتا بالدموع، لكن جاكس رآهما تحبسان الأنفاس بجمالهما، كحالهما دوماً. وابتدأت مقاومته تنهار. ابتسم لها رغماً عنه، عاجزاً عن مقاومة مشاعره العميقة. قال لها وهو يحتضنها، متشوقاً لجعلها تعرف مشاعره بالضبط: «ما أجمل أن أراك».

كان يعني ما يقول. فقالت: «أوه يا جاكس».

كان صوتها حلواً، وكئيباً أيضاً. وفهم ما يعنيه هذا. لقد حطم أحدهم قلبها مرة أخرى وأجفل، بينما تابعت هي: «أرجو ألاّ يكون لديك مانع في قدومي إليك لكنني بحاجة إليك حقاً، في هذه اللحظة».

خطر له أنها تحتاجه حقاً في هذه اللحظة، بينما يريدها هو في كل دقيقة وفي كل يوم، ولكنه لم يقل هذا بصوت مرتفع. وسألها بلهجة الصديق المخلص: «ما الذي حدث؟».

www.elromancia.com

فكت قبضتيها عن كتفيه وابتعدت عنه لتنظر إلى وجهه.

- هل يمكننا أن ندخل... أم... أم من الأفضل ألاّ نفعل...؟

فقال مشيراً إلى حقيبة ملابسها: «سآخذ هذه».

- شكراً. صعودي السلم وأنا أحملها كاد يقتلني.

وتشبثت بيده وهما يدخلان، فارتفعت حرارة مشاعره. جذب يده من يدها وأشار إلى السلم قائلاً: «سأحمل حقيبتك إلى غرفة الضيوف إذ ربما تريدين أن ترتاحي».

جالت بنظراتها في أنحاء البهو الفخم ثم نظرت إليه باسمة: «لديك شقة جميلة. إنها حديثة الطراز ومع ذلك تنضح بالرجولة».

فهز كتفيه: «لقد اشتريتها مفروشة».

نظرت إليه من أسفل إلى أعلى ثم عادت تمسك بيده: «حسناً إنها منسجمة تماماً مع شخصيتك. هل ارتديت ملابسك العفوية الأنيقة من أجلي؟».

وابتسمت بحنان، فهز رأسه ورد: «وصلت إلى البيت لتوّي وكنت أبدل ملابسي عندما سمعت رسالتك. ولو تأخرت دقيقة لوجدتني أكثر عفوية وأقل أناقة».

ضحكت. وأحدثت ضحكتها الموسيقية ألماً حاداً في قلبه: «أتعني أنك سمعت رسالتي قبل أن أقرع جرس بابك بالضبط؟».

- نعم.

فقالت متصنعة الاستياء: «لقد خاب أملي. ظننتك تأنقت من أجلي».

قطب كما يفعل عادة عندما تظهر الاستياء وترك يدها مرة

أخرى: «تأنقت من أجل حفل عشاء أقامه أحد زبائني».

- حسناً، أظن أن بإمكاني أن أتغلب على الجرح الذي أصاب كرامتي..

أخذ يتأملها من رأسها حتى قدميها، وقال: «لكن مظهرك ليس سيئاً... بل تبدين لي شديدة الأناقة».

أراد أن يقول رائعة الجمال لكنه غير رأيه. لمست ياقة سترة بذلتها الوردية اللون وسألته:

- أتعني هذه؟ وصلت بالطائرة هذا الصباح من فيغاس إلى سانت لويس. وعندما...

وسكتت.. ثم ابتلعت ريقها وأكملت: «على أيّ حال... جئت إلى هنا. إذا كانت ملابسي لا تزال أنيقة ولم تتجعد، فهذه معجزة..».

- ما دمنا لم نتأنق لبعضنا البعض، وكبرياؤنا تحطمت بما فيه الكفاية، فهل تفضلين أن ترتاحي أولاً أم أن تتحدثي؟

فكرت لحظة في كلامه. وعندما تحوّلت نظراتها ناحية السلم، أدرك ما ترغب فيه قبل أن تنظر إليه وتقول برجاء: «أظنني أرغب في الاستحمام فهل ستبقى مستيقظاً؟».

هل يستطيع أن يقول إنه يريد أن ينام بل يجب أن ينام بعد أن أمضى يوماً شاقاً، لكنه يعلم أنه لن يستطيع النوم الليلة بينما هي تنام في الغرفة المجاورة. وقال: «منذ متى لا أكون موجوداً عندما تريدين أن تتحدثي؟».

وتساءل بينه وبين نفسه، عما يجعله يصغي إليها الآن؟ وعما يجعله نهماً لتعذيب نفسه؟ لكنه لم يستمع إلى هذا المنطق بينما

كانت عيناه مركزتين على عينيها الرائعتين. وابتسمت قائلة: «عليّ أن أعترف بأنك لم تخذلني قط. سأعود بعد نصف ساعة».

- أتريدين أن تأكلي شيئاً؟

- أنا متلهفة لتناول أقراص الحلوى المقلية التي تحضّرها..

- أقراص حلوى إذن؟

وحمل حقيبتها فيما تقدّمته هي على السلم. وأسكره مشهد ساقيها الطويلتين الرشيقتين وشعرها المعقود.... هذا كله عذبه للغاية.

وعندما وصلا إلى غرفتها وضع الحقيبة على الأرض قائلاً بارتباك: «إلى اللقاء.. في أي وقت تشائين».

وضعت ذراعها حول رقبته وطبعت قبلة خفيفة على خده. وقبل أن يستطيع التنفس مرة أخرى، توارت مع حقيبتها. وعندما استطاع أن يبتعد عن بابها شتم نفسه: تباً لك يا جاكس. أنت بطل العالم في الحماقة.

* * *

غاصت كيم في حوض الحمام المليء بماء يتصاعد منه البخار بعد أن رفعت شعرها على أعلى رأسها. يالها من رفاهية! رائحة العطر الذي يستعمله جاكس. هذا غريب! لعله في شعرها. رفعت يدها وشدّت خصلة منه وشمّتها ثم تنهدت وهي تتأوه. إن رائحته عالقة فيها. ما أجمل رائحته!

أغمضت عينيها وأخذت تفكر فيه. كم بدا لها أخاذاً. أتراها رأته في بذلة من قبل؟ لم تستطع أن تتذكر. بدا لها شديد

الجاذبية. وقد أعجبها شعره، الذي كانت قد نسيت كم هو ناعم ولامع وفاحم السواد.

وشعرت فجأة بالقلق وهي تدرك أنها أطالت خلوتها في الحمام. كما أنها اشتمت رائحة الكعك المقلي، فنهضت من الحوض شاعرة بالتحسن جسدياً على الأقل.

وقالت وهي تلتف بمنشفة كبيرة لم تر مثلها نعومة من قبل: «أنت صخرتي يا جاكس... وأنا أحبك».

عبست وسكتت، ثم عادت تقول مخاطبة نفسها: «أنت طبعاً تحبينه، فهو أحسن صديق لديك في العالم».

وعلقت المنشفة مكانها ثم تركت الحمام وهي تتابع الحديث مع نفسها: «لكن ربما ينبغي ألاّ أقول له ذلك طبعاً».

في الواقع، كل رجل قالت له ذلك تركها في ما بعد. وقالت تحدث نفسها مرة أخرى: «كلا... ينبغي ألا يحدث هذا بيني وبين جاكس».

وبعد أن ارتدت كنزة صوفية كحلية اللون فوق بنطلون جينز وجوربين قصيرين سميكين، نادته من الأعلى: «أشم من هنا رائحة طيبة. أين أنت يا جاكس؟».

- في المركبة الفضائية نستعد للهبوط. أين تظنينني موجوداً؟

ضحكت، وحيّرها أن تتمكّن من ذلك: «حسناً، أنا قادمة».

دخلت إلى المطبخ فرأت طاولة مستديرة مع أربعة كراسٍ أمام نافذة كبيرة تمتد من الأرض إلى السقف.

في الخارج، رأت كيم أنوار مدينة شيكاغو. وعندما ابتعدت عن هذا المشهد، لاحظت أن المائدة مجهزة لشخص واحد،

فنظرت إلى جاكس بفضول. كان يقف أمام المقلاة وبجانبه طبق كبير كوّم فيه الكعك المقلي، فالتفت إليها: «هل أتوقف عن القلي؟».

- كان بإمكانك أن تتوقف قبل اثنتي عشرة كعكة. في حال لم تنتبه، أنا أنوي الحفاظ على رشاقتي.

وأخذت تحملق فيه فترة. كان إنساناً رائعاً، ناضج الرجولة فبدا رائع الوسامة. لا تتذكر أن كتفيه كانتا بهذا العرض، وأن وركيه بهذا التناسب. وسألته: «هل تعمل في الخارج؟».

ونقلت نظراتها بسرعة إلى وجهه فيما هو يستدير لينظر إليها، مستفهماً: «ماذا؟».

هزت كتفيها: «أسألك عما إذا كنت تعمل في الخارج».

فأومأ وهو يستدير مبتعداً: «لا، لكني أمارس الرياضة».

قالت له مازحة: «فهمت. يمكنني أن أمدحك حتى لو لم تستطع أن تمدحني. إن ظهرك عريض..».

نظر إليها مرة أخرى، عابساً هذه المرة: «شكراً».

وتنفست بعمق ثم قالت: «أليس من سوء حظنا أن يطول فراقنا كل هذه المدة؟ لكننا نعود فنجتمع كما لو أننا رأينا بعضنا في الأمس. أنا لا أشعر وكأنني افترقت عنك على الإطلاق..».

بقي لحظة لا يجيب، ليقول أخيراً: «نعم».

وتوجه إلى الثلاجة مضيفاً: «أتريدين زبدة أم قطراً أم قشدة مخفوقة؟».

حملت طبق الكعك وتوجهت به إلى المائدة وهي ترد عليه: «قطر وزبدة».

وجلست وعندما أحضر القطر إلى المائدة أمسكت بمعصمه: «ألن تجلس وتأكل معي؟».

- لقد تناولت الطعام لتوّي..

وسحب كرسياً جلس عليها فاحتكت ركبته بركبتها لكنها لم تبتعد. وعندما عاد فابتعد في النهاية، شعرت بما يشبه الحرمان. بدا جاكس مختلفاً بشكل ما وكأنه ليس مسروراً تماماً بوجودها هنا. آه هذا جنون يا كمبرلي! إنه أفضل صديق لديك وأنت صديقته أيضاً.

- أنا هنا لأستمع إليك. هل نسيت؟

أومأت برأسها وقد تذكرت الآن سبب حضورها. وجاهدت كيلا تنفجر بالبكاء ثم حدقت في طبق الكعك لحظة قبل أن تتناول شوكتها وتضع في صحنها بعضاً منها. ابتسمت له ابتسامة سريعة شاكرة ثم رفعت قطعة من الكعك إلى فمها. كم هي لذيذة! أشارت له بعينيها باستحسان وقد خفّ شعورها بالاكتئاب، وقالت: «ينبغي يا سيد جيريون أن تكون في السجن».

- ماذا؟ ولماذا؟

وقطب حاجبيه فبدا ظريفاً إلى حد شعرت معه بقلبها يخفق بسرعة.

- من الإجرام ألاّ تتخذ من صنع الكعك عملاً دائماً لك.

أحنى رأسه نحوها وسألها برقة: «والآن أخبريني، ما الذي حدث فجعلك تأتين إلى هنا لتحكمي علي بالسجن في منتصف الليل؟».

- لم ينتصف الليل بعد..

- لا بأس. إذن، ما الذي جاء بك في هذا الوقت من الليل؟

تناولت لقمة أخرى من الكعكة. لكنها ابتلعتها بصعوبة، هذه المرة. إذ أزعجها أن تفكر في شقتها الخالية وكومة هداياها.

ووضعت شوكتها جانباً، لكنها لم تستطع أن تنظر إلى جاكس.

- حسناً، ظننت أنني وجدت الرجل المناسب. لكن وبعد عودتي من رحلة عمل هذا النهار، وجدت رسالة وبعض القمصان وهدايا أخرى مني مكوّمة بشكل مهين على الأرض العارية..

وأسرعت بإنهاء قصتها لا تريد الإطالة بسرد التفاصيل فهذا يجعلها تبكي: «ترك لي رسالة ينعتني فيها بالخائفة من الالتزام....ثم.....ثم..».

إذا أرادت أن تنتهي من قصتها من دون بكاء فمن الأفضل أن تسرع: «حسناً، كان هجره لي مفاجأة غير منتظرة، وحجته المزعومة غير صحيحة أبداً. عدم رغبتي في الزواج لا تعني أنني لست ملتزمة».

وحدقت في طعامها الذي أخذ يبرد، وكل انتباهها مركز على هذا الرجل الذي يهمها رأيه للغاية. وبقي هو صامتاً فترة طويلة، فترة أطول مما ينبغي. وألقت عليه نظرة جانبية، فوجدته عابساً. هل يفكر؟ أيشعر بالعطف؟ لم تستطع أن تعلم. وقالت بحماسة زائفة: «شكراً... يا جاكس أنا أحسن بكثير الآن..».

أملت أن تجره إلى الكشف عما يخفيه عبوسه هذا. وسألها: «هل أخذ أغراضك أيضاً؟».

- أغراضي؟

لما يريد أن يحصر جدالها عن الالتزام في هذا الأمر عديم

الشأن؟ وسألته محاولة أن تجعله يميّز بين المهم والأقل أهمية: «هل لقلبي حساب؟».

أجفل قليلاً وأجاب: «هذا أكيد. أعني إن كان قد سرق أشياءك».

- لا، لا لم يفعل. لكن مشاعري هي المهمة، ومشاعري كانت... ملتزمة.

لِمَ تلعثمت عند الكلمة الأخيرة؟ فقد كانت ملتزمة تماماً بالنسبة إلى بيري ومستقبلهما معاً.

أومأ باتزان: «هممم.... لكنك لم ترغبي في الزواج؟».

- هل أنت مدعي عام في محكمة؟ إن رفض الزواج ليس إثماً. هيا يا جاكس، أخبرني فقط أن الأمور ستصبح على ما يرام، ثم عانقني وساعدني على الشفاء كالعادة..

أمال رأسه وأخذ يتأملها: «أنت إذن جئت إلى هنا من أجل المعانقة؟».

حولت عينيها عن عينيه بارتباك ثم التقطت شوكتها وأخذت تعبث بطعامها. وعندما عادت تنظر إليه، قالت بجد: «أنت تعرف قصة أمي، يا جاكس. الزواج لا يضمن شيئاً. ظننت أن وضعنا، أنا وبيري، جيد كما هو، فلماذا نهز المركب بعقود وعهود لا معنى لها؟».

- يبدو أن ذلك لم يكن من دون معنى بالنسبة إليه.

- أنا بحاجة إلى صديق... إلى عناق... وليس إلى استجواب دقيق..

وضربت المائدة بكفيها وهبّت واقفة: «اسمع، إذا كنت لا

ترى أنه مخطئ، فأنا إذن أخطأت في حضوري إليك. ظننتك صديقاً».

- وأنا صديقك فعلاً. أريد فقط أن أحصل على الصورة كاملة..

- الصورة الكاملة هي أنني مستاءة وأريدك أن تكون بجانبي، أن تكون صديقي. أن تخبرني أنه من الأفضل أن أتخلّص منه..

- حسناً الأفضل أن تتخلصي منه..

شبكت يديها على صدرها وحملقت فيه: «هذه بداية جيدة، والآن دعنا نجعل هذا يبدو وكأنك تعنيه».

نظر إليها صامتاً، ثم قال: «أنا صديقك، يا كيم، لكنني صديق يخبرك الحقيقة. لن تحصلي مني إلا على الصدق».

- أهكذا؟ ما المبلغ الذي تريد لتكون الرجل الذي لا يعرف سوى كلمة (نعم)؟

- كفى مزاحاً.

- أنا لا أمزح..

وجاهدت كيلا تنفجر بالبكاء. لم تعرف لما هي واقفة، ولما هي ثائرة بهذا الشكل. وأخذت تربت على سروالها بخفة وكأنها تبحث عن جيوب: «ليس معي نقود الآن. لكن إذا صعدت إلى غرفتي وأحضرت عشر دولارات، فهل تكفي لكي أسمعك تعلن لي أن بيري أحمق كبير، وكل شيء سيصبح على ما يرام؟».

- بيري!.

بدا عليه ضيق غامض، وتساءلت عما تراه يفكر فيه. وبعد ثانية، أشار إلى طعامها: «لِمَ لا تأكلين ثم تنامين لترتاحي؟

يمكننا أن نتحدث حين تنتعشين».

ووقف وهو يتابع: «أظن أنه من الأفضل أن أتركك وحدك لبعض الوقت».

تملكتها الحيرة والإحباط لقراره المفاجئ بالذهاب، لكنها لم تستطع أن تتحرك أو تتكلم. لم تشأ أن يذهب، فهي لم تحضر إلى هنا إلا لتكون معه. وعندما فتحت فمها لتقول هذا، أسكتها بقوله بلطف: «أنت متعبة، وأنا متعب. ويبدو أن مزاجك لا يحتمل أن تكوني منطقية».

- منطقية!

وابتدأت تقف، لكنه أفشل خطتها بوضع يده على كتفها يمنعها: «اجلسي».

عبست: «أنا لست كلبك».

تنفس بعمق، ثم ابتعد متمتماً: «الكلب أقل إزعاجاً وأكثر مودة».

- ماذا قلت؟

هز رأسه من دون أن يلتفت إليها: «قلت أن تتركي الأطباق مكانها وتطفئي الأنوار عندما تذهبين إلى النوم».

- ليس هذا ما بدا أنك قلته..

- تصبحين على خير، يا كيم..

وتوارى عن الأنظار. حملقت في باب المطبخ وهي تقبض يديها لكنها هدأت بعد ثوان لتدرك أنه على حق. إنها بحاجة إلى بعض الوقت لكي تصبح عقلانية تماماً. وجاكس خبير في هذا، فهو المنطق والعقلانية. وسمعته يصعد السلم بسرعة، فصاحت

www.elromancia.com

تناديه: «هيه... ماذا حدث لعناقي؟».

ومن مكان بعيد، سمعت صوت باب يصفق.

٣ - حماقة لا تغتفر

كانت الليلة عذاباً لا ينتهي بالنسبة الى جاكس. لم يجد الراحة وهو يتقلب في فراشه، ثم يسير في أنحاء الغرفة وينظر من النافذة إلى الخارج، ثم يعود فيلقي بنفسه على السرير ليتقلّب من جديد. لم يستطع احتمال وجود كيم قريبة منه فرائحة عطرها تصيبه بالحيرة والذهول وشعرها الناعم يتوسل إليه ليلامسه ويلاطفه. هل يعقل ألاّ تعرف ما تفعله به؟ أم أنها ممن يستمتعون بتعذيب الآخرين؟

ووقف أمام نافذته، منهكاً إنما مستيقظاً تماماً، ثم نظر إلى ساعته مع ظهور خيوط الفجر. كانت عقاربها تشير إلى الخامسة وثلاث وثلاثين دقيقة. وقرر أن يذهب إلى العمل. لم يسمع حركة في غرفة الضيوف، فنزل بهدوء إلى الطابق السفلي ليجد المطبخ نظيفاً. يبدو أن كيم لم تترك الصحون. وتمتم: «شكراً على هذا على الأقل. حرمتني النوم طوال الليل، راغباً بك، مدركاً أنني لن أحظى بك أبداً».

حضّر لنفسه فنجان القهوة المعتاد، و ملأ «الترموس» الذي يأخذه معه إلى العمل. وقبل أن يخرج ترك ملاحظة لكيم يخبرها فيها أنه سيعود قرابة السادسة، واعداً إياها بأن يحضر معه مكونات عشائها المفضل، سلطة «التاكو». لعلها سترغب في أن

www.elromancia.com

تعترف بخوفها من الالتزام. ولعلها ستدرك أنها إذا أرادت أيّ علاقة دائمة مع رجل، فعليها أن تعالج هذا الأمر أولاً. وإذا أدى هو دوره كصديق ومصلح جيداً، فستجد كيم السعادة الدائمة، مع رجل ما، مع رجل لعين.

نزل السلم متجهاً إلى مرآبه حيث صعد إلى سيارته «الجاكوار». ثم أدار المحرك وهو يتمتم: «ما يدعو إلى السخرية أن العلاقة الدائمة التي التزمت بها هي علاقتنا... لكنها علاقة حب عذري إلى حد يكاد يقتلني».

وصل في السادسة والنصف إلى مكتبه ليجد أن زميلته، ترايسي روس، قد سبقته، ولم يكن هذا غريباً ما دامت عملياً تعيش في مكتبها. كان بابها مفتوحاً. عندما مرّ من أمامه، نادته: «لم أتوقع قدومك قبل ساعة. ماذا حدث؟ مشكلة؟».

لم يشأ أن يعرض (مشكلته) على ترايسي، لكنه رأى أنه من الأفضل أن ينهي الأمر معها وإلا فستدّس أنفها حتى النهاية. ترايسي هي ربة عمل استثنائية وزميلة قادرة، لكنها أيضاً متطفلة تدسّ أنفها في ما لا يعنيها..

حملق فيها وسألها: «هل وصولي باكراً مخالف للقانون؟

- لا، يا جاكس، وإلا لسجنت مؤبداً.

وعندما اقترب من مكتبها تلاشت ابتسامتها: «ما هذا؟ تبدو وكأنك اجتزت عشرين ميلاً في طريق وعر».

فسألها ساخراً: «عشرون فقط؟».

- لم أشأ أن أبالغ.

وقدمت له البسكويت قبل أن تضيف: «لم يسبق أن رأيتك في

السادسة والنصف صباحاً. ما الذي أحضرك إلى هنا مع بزوغ الفجر لتكون معنا نحن المدمنون على العمل؟ أم أنك قادم للتو من ليلة صاخبة؟ أو لعلك أمضيت الليلة في السجن لإسراعك في قيادة سيارتك؟».

ونظرت إليه متفحصة بينما هو ينهي البسكويت ثم أردفت: «بعد أن تركتك تتناول العشاء الليلة الماضية، هل وضع زبوننا مخدراً في قهوتك وحصل منك في الزقاق على ما يريد؟».

ثارت ثائرة جاكس: «أنت لا تحسنين المزاح».

فشبكت ذراعيها على صدرها: «حسناً أخبرني عما جعلك تأتي مبكراً وكأنك ضحية تعرضت للضرب».

جلس على زاوية مكتب ترايسي وأخذ ينظر إلى الخارج من دون أن يرى شيئاً. وهامت نظراته عبر الحدائق الخضراء والأشجار لتصل إلى بحيرة «ميشيغن» المتلألئة تحت أشعة شمس الصباح.

قال ببساطة: «كيم هنا».

وساد صمت عميق. بقيت ترايسي صامتة مدة طويلة، فهي تعرف قصته مع كيم ، وقصة قبولها له ومودتها له في حين اعتبره الجميع غريب الأطوار، وسخائها ودفئها وضحكتها السهلة التي تزيح عن صدره أي كآبة وهم.

كانت ترايسي تعلم أن وجوده مع كيم هو أشبه بالعودة إلى الوطن. كما تعلم أيضاً أن كل موعد له مع امرأة أخرى، هو لمحو شيء من ذكرى كيم من قلبه. فكيم هي الدفء في حياته، الدفء الذي مازال يكافح ليتعلم كيف يعيش من دونه.

وأخيراً، قالت: «آه».

وتمنى لو لم يخبرها قط عن كيم. فسماع نبرة العطف في صوتها جعله يشعر بالمذلة. وبعد فترة صمت أخرى، سألته: «لِمَ الآن؟ بعد هذا الوقت كله، بعد أن كدت أنت...».

وسكتت، لكنه أدرك ما تعنيه. كانت تعني: بعد أن كاد يتحرر من تأثيرها فيه. وعاد ينظر إليها. بدا عليها الحزن من أجله. وقال: «القصة المعتادة. تحطم قلبها مرة أخرى».

- ويفترض بك أن تواسيها؟

ابتسم بسخرية مرة: «عندما تقول إنها بحاجة لصديقها جاكس، فهي عادة تتحدث عن تحطم قلب».

ألقت ترايسي برأسها على الملف بحركة مسرحية، مغطية رأسها بيديها: «الآن بعد أن سمعت، أرى التشاؤم يتملكني».

عاد ينظر من النافذة، ثم إلى زميلته وقد بدا عليه الهم: «هذا ما تحتاجه هي».

- وماذا عن حاجاتك أنت، يا جاكس؟

واستقامت في جلستها ثم وضعت راحتيها على المكتب مضيفة: «أعلم أن وجودك معها يقتلك».

- أنت صديقة مخلصة يا ترايسي. هذا صعب ولكن....

كيف كان الرعب الذي اعتصر قلبه لمجرد التفكير في أنه لن يراها مرة أخرى؟ وجوده معها أشبه بجهنم، لكن السنوات التي أمضاها من دونها كانت أسوأ. وهز كتفيه بحيرة..

- الأمر معقد..

شخرت ترايسي: «لو كنت أحصل على دولار واحد، كلما

سمعت هذه الاسطوانة القديمة من صديق يحب من جانب واحد، لأحضرت خادمة لمنزلي من فرنسا».

اعتصر أصابعها وقال مازحاً: «بدلاً من ذلك، لا يمكنك أن توظفي في بيتك سوى من شعب نبراسكا».

فقالت بابتسامة متكلفة: «لا بأس أن غطيت الامور بالضحك. لكن يبدو وكأنك أمضيت الليلة كلها تتقلب في النار».

- حسناً، من الأفضل أن أذهب لأحلق ذقني.

- هذه بداية جيدة.

وعندما هم بالابتعاد، أضافت:

- أخشى أنها تستغلك.

- لا تخافي عليّ، يا ترايسي..

وغادر مكتبها وتوجه إلى مكتبه.

تمنى أن تكون فكرة ترايسي عن كيم صحيحة فإذا كانت أنانية إلى ذلك الحد، وتستغله إرضاءً لغرورها، فسيتمكن من التخلص منها بسرعة. لكنها ليست كذلك، وترايسي تعلم ذلك في أعماقها. إنها تعرف جاكس بما يكفي لتدرك أنه لا يُخدع بسهولة.

كانت كيم من أكرم الناس الذين عرفهم. إنها وبكل بساطة، تعتبر صداقتهما أمراً مسلماً به... مثل التنفس. إذا كان هناك من يلام، إنه هو. الذنب ليس ذنب كيم فهو لا يستطيع أن يخبرها كم تؤلمه زيارتها له.

* * *

سمعت كيم صوت باب المرآب يُفتح، فعلمت أن جاكس

عاد. شعرت هذا الصباح بخيبة أمل عندما أدركت أنه رحل. كانت ترجو أن يتمكنا من الحديث أثناء تناول الفطور، لكنها تعلم أنه مشغول على الدوام فلم تشأ أن تثقل عليه.

ليس لديها عذر لمجرد أن عطلتها قصيرة وقلبها محطم.

لكنه جاء الآن وهي تريد أن تكون ذات نفع له. إنه رائع إذ سمح لها بأن تحضر إليه بشكل مفاجئ وستحاول أن يكون وجودها هنا مصدر سرور له. تفحصت منظرها في مرآة الغرفة، وسوت شعرها وبلوزتها الحريرية. كادت الإثارة التي تشعر بها الآن لرؤية جاكس توازي الإثارة التي كانت تشعر بها لرؤية بيري. لكن جاكس ليس حبيبها... بل أهم من ذلك. إنه... حسناً، إنه جاكس. وعندما دخل إلى المطبخ وجدها جالسة إلى المائدة مفتوحة الذراعين:

- حسناً، ياجاكس. أكاد أموت جوعاً. فلنبدأ بسلطة «تاكو» هذه.

كان يحمل تحت كل ذراع كيساً أسمر. وقال بابتسامة خفيفة: «يسرني أن أراك أيضاً».

وضعت يديها على وركيها: «حسناً، من الطبيعي أن أراك. هذا أمر مفروغ منه. لطالما كنت مغرمة برؤيتك».

أخذت أحد الكيسين منه وطبعت قبلة على فكه: «رائحتك حلوة. ما نوع الكولونيا التي تستعملها؟».

وضع الكيس الآخر على منضدة وأجاب: «أظن أن اسمها «الفتى السيء»».

- «الفتى السيء». مناسبة جداً.

كان يفرغ مواد البقالة، وعندما سمع ملاحظتها نظر إليها: «أحقاً؟»؟

ضحكت ومدت يدها تمرّ بإصبعها على الخصلة العنيدة: «هذا هو مظهر «الفتى السيء» الذي أحب. مثل هذه الخصلة الجانحة... إنها تجعلك تبدو...».

وكادت تفلت منها كلمة (مثير) لكنها كبحتها في الوقت المناسب وأخذت تبحث عن كلمة بديلة.

- أبدو... ماذا؟

تملكها اضطراب غريب فأنزلت يدها عن شعره وحولت نظراتها بعيداً، شاغلة نفسها بالبقول وهي تقول: «آه، لا أدري. تبدو أشبه بعضو في عصابة أو شابه».

ألقى عليها نظرة جانبية. يبدو أن المقارنة لم تعجبه، فهل يمكنها أن تلومه؟ لكنها لم تجرؤ على الاعتراف بأن خصلة شعره التي تتدلى على جبهته تسبغ عليه مظهر القرصان المثير. ملاحظة كهذه هي غزل خالٍ من الذوق، كما أنّ هذا ليس السبب الذي جاءت من أجله.

تخلل شعره بأصابعه: «إذا ما انتهينا من الحديث عن شعري، فلِمَ لا تضعين هذه الأغراض مكانها بينما أغير ملابسي».

- بكل تأكيد. من الأفضل أن أجهّز أنا السلطة بينما ترتاح أنت بعد يومك المتعب..

- كلا... قلت إنني سأساعدك، سأعود بسرعة..

- لا تكن أبله..

جمد مكانه، ولم تستطع أن تمنع شعوراً بالسرور تملّكها

لمظهره. كانت محاولته لرفع خصلة الشعر المتمردة قد فشلت وقال: «لدَي مكوّن سرّي، لهذا لا يمكنك أن تفعلي هذا وحدك».

نظرت إليه وهي تميل برأسها متحدية: «آه... أحقاً؟».

أوماً وقد بدا جاداً: «ابشري الجبن فقط. هل هذا مفهوم، يا امرأة؟».

كبحت ابتسامتها لحظة ثم قالت: «لقد أصبحت مستبداً».

بعد أن توارى عن النظر، تناولت لفافة الجبن وأخذت تفتحها وهي تبتسم. يمكن لجاكس أن يكون ظريفاً للغاية. هذا غريب! لقد أمضت يوماً فظيعاً في البكاء والحسرة على نفسها، ثم جاء جاكس إلى البيت وإذا بأشعة الشمس تتدفق لتدفئ روحها.

* * *

بعد العشاء، أصرّت على إرجاء غسل الصحون. ثم أمسكت بيد جاكس تقوده إلى غرفة الجلوس ليشربا القهوة. وعندما وصلا إلى الأريكة دفعته برفق للجلوس عليها ثم خلعت حذاءها وتكورت على الجانب البعيد من الأريكة.

- أيمكننا أن نشعل ناراً في المدفأة؟ أنا أعشق رائحتها.

كانت تشعر بتحسن لم تعرفه طوال النهار.

- بكل تأكيد.

واستندت إلى الخلف ثم رفعت فنجان قهوتها فيما هي تتابع. لكنها تابعت النظر إليه. كان قد غير ملابسه وارتدى سروالاً من الجينز وكنزة ذهبية اللون تبرز تناسق جسمه. كان النظر إلى جاكس يشعرها بتحسن.

تأملت خصلة شعر (الفتى العابث) العنيدة، وصدره البارز العضلات.. وسألته: «أنت تعمل في الخارج، أليس كذلك؟».

وضع قهوته من يده وأجاب: «أجبتك الليلة الماضية».

كان هذا مربكاً، ليس لأنها كررت السؤال، بل لأنها وفي المرتين لم تكن تنوي التلفظ به بصوت عالٍ.

شبكت ذراعيها على صدرها متصنعة العفوية وقالت كاذبة: «آه، لا بد أن هذا غاب عن ذهني».

أتراها فقدت القدرة على التفكير في أمرٍ ما من دون النطق به؟.

قطب جبينه رغم أنه لم يكن واثقاً كيف يتقبل ملاحظتها هذه.

تابعت تقول: «خذ حريتك في الابتسام يا جاكس. لن أخبر أحداً».

أثارت فيه هذه الملاحظة غضباً حقيقياً. فاستقامت في جلستها ونظرت إليه بسرعة وقلق: «ماذا حدث؟ هل فعلت شيئاً أساء إليك؟».

وأمسكت بيده: «أنا أعلم أنني مزعجة جداً. عندما حضرت إلى هنا فجأة كنت أفكر في نفسي فقط، وكل حديثي على العشاء انحصر بي وبيبري وعملي. كل الكلام عني أنا، أنا، أنا، بينما أنت أصغيت إلي بلطف بالغ...».

وقطعت كلامها عندما خطرت لها فكرة شعرت معها بضيق بالغ: «يا للسموات... إنها امرأة... أليس كذلك؟».

فاجأته بهذا السؤال فهتف: «ماذا؟».

وأخذ يحَدق فيها بحذر فيما قالت: «إن لديك صديقة وأنت

www.elromancia.com

تفكر في أن عليك أن تهملها لتدللني أنا».

وأمسكت بيده بكلتا يديها: «هذا هو الأمر، أليس كذلك؟ حسناً، أنت لست مضطراً إلى ذلك. يسعدني جداً أن أجتمع بها. لا أريد أن أفسد حياتك الاجتماعية، وهذا ما أفعله الآن بالضبط. أنت تحب أن تكون معها لكنك مضطر لأن تجلس معي. يا لي من أنانية...».

وتملكها شعور بالغ بالذنب، لكنه قاطعها بخشونة: «كلا.. أنت لست أنانية.. كما أن ما من امرأة أخرى أفضّل أن...».

سكت وتنحنح: «ما من علاقة جدّية حالياً، فلا تعاقبي نفسك من دون سبب. أنت تعرفينني بما يكفي لتدركي أنني لم أشأ أن تكوني بقربي لـ...».

وسكت وقد بدا وكأن فكرة ما تقلقه.

- كنت لتخبرني؟

نظر إلى فنجان قهوته، ثم رفعه وأخذ منه جرعة، ثم أعاده إلى مكانه: «نعم هذا صحيح».

- لا أدري، يا جاكس، لا أتذكر أنك نهرتني مرة في طفولتي. لا بد أنني كنت مزعجة جداً أحياناً. بنت صغيرة في الثانية عشرة من عمرها تتبع دوماً مراهقاً في الخامسة عشرة.

ومالت إليه واحتضنت ذراعه بيديها: «لم تشتمني قط، فكيف أعرف إذا كنت ستفعل هذا الآن؟».

- يبدو أنني كنت شديد الصبر على الإزعاج.

- أنت إذن راضٍ عن وجودي هنا؟

أخذ ينظر إلى النيران بصمت.

- جاكس؟ هل سمعتني؟ هل أنت راضٍ عن وجودي هنا؟

فردّ بهدوء: «بكل تأكيد».

وألقت برأسها على كتفه ثم أغمضت عينيها: «ألا تعجبك رائحة النار؟».

لم يجب أو على الأقل لم تسمع كيم جواباً. كانت منهكة لشدة ما شعرت به من التوتر والإجهاد. كما أن قرب جاكس منها يريحها للغاية، ما جعلها تستسلم للنعاس راضية لأول مرة منذ.. ومنعها التعب من أن تفكر.

* * *

جلس جاكس من دون حراك، ومن دون تنفس تقريباً، وقد أحاطت به رائحة عطر كيم أشبه بسحر عروس البحر من دون أيّ اعتبار لواقع أنه انسان محكوم عليه بالوحدة المؤبدة بسبب قسوتها وبراءتها في الوقت نفسه.

جمد مكانه، وأخذ يحدق في النار بعينين لا تريان، وقد اختلطت رائحة الحطب المحترق برائحة عطر المرأة المكوّرة بجانبه.

وبعد حين، أدرك أنها نامت، فحرّر نفسه بحذر كيلا يوقظها، ثم أنزل رأسها على وسادة وغطاها بغطاء من الكشمير. أطفأ المصباح الموضوع على الطاولة لكنه بقي لحظة لا يستطيع الحراك وقد أسره منظر النار التي انعكست على شعرها ما جعله يتوهج. ورأى خصلة شعر تلمع على وجنتها فأبعدها عن وجهها برقة فائقة، ثم قبّل الوجنة المرقطة بالنمش فتنهدت. واخترق صوت تنهدها قلبه. وفجأة أمسك بفنجانه ثم بفنجانها. كان أمامه خياران إما أن ينظف المطبخ، وإما أن يرتكب حماقة لا تغتفر.

٤ - ضيفة مزعجة

في الصباح التالي في المكتب، جعلته تريسي يخبرها بكل ما يؤرقه. أما الجزء المتعلق بلهفته إليها وهي نائمة لا تستطيع الدفاع عن نفسها فقد بقي سراً مخجلاً.

وأيقظته من شروده بسؤالها: «مهنة كيم إذن هي التخطيط للمناسبات الاجتماعية والمؤتمرات والاجتماعات الكبيرة؟».

- نعم.

فقالت وهي ترشف الشاي: «قد ينفعنا هذا».

لم يفهم فسأل: «وبِمَ ينفعنا؟».

- يمكننا أن نجعل ضيفتك المزعجة تعمل من أجلنا كمضيفة اليابانيين القادمين إلى منزلك الريفي..

لم يعجبه هذا، وهز برأسه: «لا أظن...».

- ليس عليك أن تظن يا جاكس، فمنذ ذكرت أنت هذا الأمر هذا الصباح، قمت بكل ما رأيته ضرورياً. كنت قلقة للغاية بشأن هذا الاجتماع، وأظن أنّ كيم جاءت في الوقت المناسب..

- قلقة؟

لم تكن هذه صفة تنطبق عليها، وتابع قائلاً: «ما الذي يقلقك؟ ولِمَ لم أسمع عن ذلك؟».

بدا عليها الارتباك: «حسناً.. قد يبدو الأمر تافهاً بالنسبة

إليك، لكن أتذكر ذلك النشاط الذي قمنا به الصيف الماضي عندما اجتمعنا بأرباب عمل من كافة أنحاء البلاد؟».

فأومأ:

- طبعاً.

- أتذكر تذمري من أن بعضهم كانوا يعطونني معاطفهم لأعلقها لهم، ويشيرون لي بأصابعهم إلى أكواب قهوتهم الفارغة لأعيد ملأها؟ أتذكر كيف كانت الأسئلة توجه إليك بينما أحظى أنا بالتجاهل؟

قطب جبينه: «أظنك تبالغين».

-لا، فأكثر من ثلثهم عاملوني وكأنني نادلة في مطعم أو سكرتيرة أو حتى حاضنة أطفال، وأنت تعرف شعوري نحو الأطفال. أنا زميلتك ولا أريد أن يحدث هذا مرة أخرى.

- اليابانيون شعب غاية في التقدم، وأنا واثق....

- لعل هذا صحيح، لكنني لا أريد أن أجرّب. إنها ليست نزهة خلوية يا جاكس. لا أريد أن يظنوني سوى زميلتك في العمل، مفهوم؟ قد لا يكون لدى ضيوفنا أيّ مشكلة في معاملتي وكأنني مساوية لهم.. لكن بعد ما حدث الصيف الماضي. حسناً، كان ذلك مذلاً والتفكير في لعب دور المضيفة يسبب لي قرحة.

وضربت المكتب بقبضتها مضيفة: « تباً يا جاكس، أنا لست موجودة لأخدم زوجاتهم وأطفالهم».

وسكتت عابسة ثم عادت تقول: « أنا لا أنوي أن أقدم لهم القهوة والحلوى. ولا أريد أن أرعى زوجاتهم، فهذا ما لا ينص

www.elromancia.com

عليه عقد عملي مع الشركة».

واستندت إلى الخلف، رافعة رأسها وهي تزفر منهكة، ثم اعتدلت في جلستها وحدقت فيه: «لا تقل إني غبية لكني سوف.. سوف أرحل..».

لم يستطع جاكس أن يصدق ما قالته ترايسي. يا للمرأة المسكينة! من الواضح أن تجربة ترايسي الصيف الماضي لم تكن ناجحة، وهي خائفة حقاً من أن تتعرض للإذلال أثناء عقد رجال الأعمال اليابانيين اجتماعاتهم هنا. وضع شطيرته جانباً ثم مال عليها يلامس يدها: « لا أصدق أنني كنت إلى ذلك الحد من الانشغال بحيث لم ألاحظ هذا».

لمسته المطمئنة أراحتها ووضعت يدها على يده: «أنت تعرفني، فأنا لا أعترف أبداً بالخوف أو الهزيمة».

فقال ضاحكاً: «حسناً، من الآن فصاعداً، عليك أن تتكلمي، مفهوم؟ ولا أريد أن تذكري الرحيل مرة أخرى».

- حسناً. الآن وبعد أن عرفت مخاوفي المظلمة أرى أننا إذا أشركنا كيم، يمكننا أن نقتل عصفورين بحجر واحد. يمكنها أن تحصل على جاكس ليداوي قلبها، كما يمكنها أن تحصل على بعض المال من لعبها دور المرأة التقليدي أيّ المضيفة. هذا سيمنحني حرية التصرف كعضو مساوٍ لهم. هل هذا رأي ممتاز؟

أراد في البداية أن يقول لا، لكن حين رأى قلقها البالغ، لم يجد حلاً: «إن هذه الخطة ليست سيئة، لكنها تطيل من إقامتها معي..».

- هذا صحيح. لكن هل ذكرت لك أنها سترحل قريباً؟

عض جاكس شفته، فكيم لم تأت على ذكر موعد رحيلها، وقال: «لا».

- كم من الوقت تمكث في بيتك عادة في حالة كهذه؟

حدق من النافذة من دون أن يرى شيئاً. كان منظر وجه كيم يطغى على بحيرة ميشيغن ولم يستطع أن ينسى مظهرها تلك الليلة وهي نائمة على أريكته. وأجاب: « أسبوعاً أو اثنين».

أجفل. أن تبقى كيم معه، بذلك المظهر الذي بدت عليه الليلة الماضية على ضوء نيران المدفأة فيما هي غافلة أو غير متجاوبة، أشبه باحتمال أسبوعين متكوّماً على زجاج مهشم.

- هذا عظيم.

وأعادته حماستها من أفكاره ليرى ابتسامتها.

- لديها أسبوع تقريباً لتضع خطة، علماً أنّ تفاصيل مثل الطعام والاقامة قد أعدّت من قبل. عليها وحسب أن تشرف على الأمور وترعى الزوجات أثناء اجتماعاتنا. سيكون هذا أشبه بلعبة بالنسبة إلى محترفة مثل فتاتك كيم.

وصفقت بيديها فيما تملّكه الضيق لهذا الاقتراح الجديد.. إمكانية بقاء كيم قريبة منه ليستخدم خبرتها أنزل عبء القلق عن كتفي ترايسي لينقله إلى كتفيه.

- آه لا تهز رأسك.

نظر إليها. هل كان يهز رأسه؟ وأضافت برقة والتفهم في عينيها: «اسمع، أعرف أن من الصعب عليك أن تمكث بقربها، لكن إذا كانت ستبقى على أيّ حال، فلِمَ لا نستخدمها؟ ستحصل على عمل تستفيد منه فيما تحصل على مخططة للإجتماع، وهكذا

أبقى أنا الزميلة كما يُفترض بي أن أكون».

كان جاكس يعلم أنها ستمكث عنده طالما تشعر بالحاجة إلى ذلك، لكن هذا لا يعني أن عليه هو أن يقوم بكل العطاء. ما أن وصلت إلى عتبة بيته حتى تملكه الغضب والإحباط وهو يراها تعود إلى حياته، لتعقد الأمور وتحرمه سلامة ذهنه.

ولكي يعدّل كفتي الميزان، قد يستفيد هو منها على سبيل التغيير. لن يحطم هذا القلوب بل سيستثمر مهارتها. إذا لم يستطع أن يجعلها حياته، فهو يريدها أن تخرج من حياته. وعندما ينتهي هذا كله، سيكون عليه أن يضع حداً لهذا الوضع، مهما تألم.

حالياً سيغفل الموضوع ليتابع، في الأيام العشرة القادمة، لعب دور الصديق وكاتم الأسرار لكيم، مهما كان الجرح الذي يحدثه ذلك عميقاً.

عاد يركز اهتمامه على زميلته وقال: « لابأس. سأطلب من كيم أن تكون مضيفتنا فهل ارتحت؟».

وقفت ترايسي وتقدمت منه: «أنت أمير يا جاكس».

بعد خروجها، جلس فترة طويلة شاعراً وكأنه في جهنم. وتمتم في سرّه: «أنا آسف يا كيم لكن صديقك العزيز القديم جاكس على وشك أن يستغلك.. ثم يخسرك. حان الوقت لذلك».

واستند إلى الخلف وأغمض عينيه.. سوف تكرهينني، لكن.. اللعنة! سيكون هذا صعباً بقدر قولي لك وداعاً. إن مواجهة غضبك وحتى كراهيتك أسهل من العيش معذباً بهذه العلاقة

الحميمة التي لن تفضي إلى شيء...

* * *

لم تستطع كيم أن تصدق أذنيها. أصحيح أن جاكس يطلب المعونة منها؟ وسألته وقد تملكتها الإثارة: « هل تمزح؟ أتريدني حقاً أن ألعب دور المضيفة لاجتماعك؟».

وقف وقد بدا عليه الجد البالغ وكأنه يعتبر عرضه هذا عبئاً ثقيلاً. وقال: «سوف أقدّر... أعني زميلتي في العمل ستقدّر لك ذلك كثيراً».

- هذا يسرني للغاية، فأنت فعلت الكثير لي. وبما أن لدي بعض الوقت قبل عملي التالي، سيكون هذا من دواعي سروري وفخري.

وأمسكت بيديه تضغط عليهما بمودة بالغة، ثم فكرت قليلاً وسألته: «ما الذي علي أن أقوم به؟ أتعهد الطعام؟ أخطط لأخذ الزوجات في نزهة؟ أخبرني بما علي أن أفعل».

- أمور الوجبات والسكن حسمت، لكنني لم أفكر في النزهات، ولعل هذا شيء حسن. خذي النساء..

وسكت وكأنه لا يعرف إلى أين... فضحكت: « دع هذا لي. ماذا عن الطعام؟».

- مديرة منزلي نظمت أمر الوجبات. ستُعقد الاجتماعات في بيتي الريفي حيث سيقيمون أيضاً. أنا في الأساس أحتاج إلى مضيفة..

شدت على أصابعه مرة أخرى للتأكيد: «حسناً! لقد حصلت على مضيفة».

- شكراً.

لم يظهر عليه السرور فتركت يديه: «هل هذا الاجتماع هو ما يقلقك؟ أعلم أن لا شيء يرهبك تقريباً. . . . فما الذي يجعل هذا الاجتماع بهذه الأهمية؟».

- أنا وترايسي نريد أن نتوسّع عالمياً. .

- آه، إنها فرصة لتوسيع العمل إذن. .

- نعم، وقد أشارت ترايسي إلى أنها عاشت تجربة سيئة في الماضي مع رجال الأعمال المحافظين. إنها تخشى أن يهبط مركزها إلى درجة حقيرة بدلاً من. . . . .

- لا حاجة بك إلى الشرح، سألعب أنا دور المضيفة الحقيرة. . .

- آسف. . . لم أكن أعني. . . .

قالت ضاحكة: «اخرس يا جاكس. .».

ثم ما لبثت أن سألته: « لم أكن أعرف أن لديك زميلة امرأة».

- ألم أذكر لك ذلك؟

فهزت رأسها: «لا أتذكر».

كان هذا تطوراً هاماً. زميلة أنثى! وخطرت لها مئات المشاهد المسرحية، لكنها أزاحتها جانباً. فلديها عمل تريد أن تقوم به.

- كم عدد القادمين؟

- خمسة، مع زوجاتهم. .

- أعطني قائمة بأسمائهم وأرقام هواتفهم.

كان هذا بالضبط ما تريد أن تشغل به ذهنها عن بيري وشعرت

بتحسن لم تعرفه منذ. . حسناً، منذ دخلت إلى شقتها الخالية. وقال: «سأدفع لك أجرك طبعاً».

أمسكت بذراعه وسارت معه إلى المطبخ وهي تقول: «حاول أن تدفع لي أي شيء فأرفسك».

ونظرت إليه تتأمله وهو يقطب حاجبيه متذكراً تلك الركلة المؤلمة التي سددتها إليه حين كانا طفلين وقال: «مازال أثر الركلة على ساقي». .

- إذن، جهز المائدة، فالعشاء جاهز.

فقال مازحاً: «مستبدة».

بدا وكأنه عاد إلى شخصيته القديمة، وردت هي عليه: «فتى سيء».

وقف والتفت إليها، فمدت يدها تزيح خصلة عن جبينه: «سيء للغاية».

بدا لها مجدداً أنها أغضبته فتساءلت عما صدر منها: «جاكس. هل أنت غاضب مني؟».

- ولِمَ أغضب منك؟

- لا أدري. أنت تبدو منزعجاً مني.

- وكيف يمكن أن أنزعج منك؟

وتخلل شعره بأصابعه، مشعثاً الخصلة التي سقطت على جبينه مرة أخرى ما أثار مشاعرها: «هذا ما أسألك عنه».

وثارت من غموضه هذا: «هل أنا مزعجة إلى هذا الحد؟ إذا كنت كذلك يا جاكس فأرجوك أن تخبرني. آخر ما أريده هو أن أكون عبئاً ثقيلاً عليك. إنك أفضل. . أفضل صديق لدي وأنا

www.elromancia.com

أحبك».

ولم تدم الصدمة التي أصابتها لسماعها ما قالته سوى ثانية واحدة، إذ سرعان ما أدركت أن لا ضرر في أن تخبره. من المؤكد أنه يعلم أنها تحبه على الطريقة الأفلاطونية، ما يجعله أفضل أصدقائها. وقف جامداً يتأملها لحظة طويلة: «أعرف شعورك نحوي».

وكانت نبرته جامدة وهو يضيف: «وأنا أحبك أيضاً».

قال هذا بلهجة جامدة و من دون مرح، ما مسّ قلبها، وكأنه يحمل عبئاً وهذا العبء هو علاقته بها: «إنك تقول هذا وكأنه أمر سيء..».

لم تشأ أن تصدق ما فهمته. لا يمكن أن يرغب جاكس في أن ينهي صداقتهما هذه.. بل هو أمر آخر!

على أيّ حال، عليها أن تصل إلى عمقه. جاءت من خلفه واحتضنته وضغطت خدها على ظهره، فسمعت خفقات قلبه قوية منتظمة مثله. تشممت رائحته مستمتعة، ثم سألته: «ماذا يمكنني أن أفعل لأصلح الأمر؟».

عندما احتضنته جمد مكانه، لكنه سرعان ما استأنف غسل يديه. وشعرت بعضلات ظهره تنكمش ثم تعود وتتحرك.

- أريدك أن تكون سعيداً يا جاكس أن أراك تبتسم، أن أسمعك تضحك.. كعادتك.

ابتعد عنها ثم توجه إلى خزانة الأطباق وهو يقول: «إنه توتر بسبب إجتماعات الاسبوع القادم. دعي الأمر عند هذا الحد، اتفقنا؟».

- هذا أمر جديد، أليس كذلك؟

- ماهو الجديد؟

- توتر الأعصاب، لم أعرفك يوماً متوتر الأعصاب..

- الناس يتغيرون..

طبعاً لكن ليس بشكل كلي..

وأخرجت الطبق من الفرن ثم أخذت تحدق فيه لا تريد أن تكتفي بتفسيره السطحي: «لطالما كنت واثقاً من نفسك، لم أرك قط تفشل. لا تخبرني أنك تغيرت إلى هذا الحد إذ يصعب عليّ تصديق هذا، بل يستحيل».

حدق فيها وقال: «ربما عليك أن تعملي في العلاقات العامة بدلاً مني».

فابتسمت: «سيسعدني ذلك».

استدار مبتعداً فيما هزت هي رأسها. لا بد أنه يعاني من صداع أو ما شابه، فلطالما كانت قادرة على أن تحمله على الابتسام.

أخذت تفكر ثم تذكرت تلك الملاحظة الغامضة في ورقة بيري التي تقول (لا تقارنيني أبداً).

هل من الممكن أن بيري كان يشير إلى جاكس؟ هل ذكرياتها العابرة عن صديق عمرها هددت بيري؟ إن جاكس أفضل صديق لديها، فلِمَ لا تفتخر به وبصفاته الحسنة؟ لم تكن تحط من شأن بيري أو غيره عندما تمدح مآثر جاكس. وها هو ذا جاكس يخبرها بأن أعصابه متوترة إلى حد لا يستطيع معه أن يبتسم لأقدم وأعز صديقة له في العالم؟ لم تستطع أن تفهم هذا.

وسمعت قرقعة الأطباق وهو يضعها على الطاولة فنظرت من فوق كتفها إلى الرجل ذي الكتفين العريضتين وأحست بشعور غريب في صدرها. لقد ساورها هذا الشعور مرة أو مرتين في الأيام القليلة الماضية عندما كان جاكس يدخل إلى الغرفة. ما الذي حدث لها؟ بدأت تشعر مؤخراً بحرارة تتملكها لرؤيته. حرارة لرؤية جاكس؟ أعز صديق لديها؟ جاكس الجزيرة الهادئة في بحر حياتها العاصف؟

أخذت تنظر إليه وهو يعد المائدة، وشعرت بشيء ما يجذبها. ما هو؟ طردت أفكارها هذه فصداقة جاكس أكثر أهمية من أن تعبث بها. يجب ألاّ يهتز المركب الذي يحملها مع جاكس فمن دون صداقته ستسقط من على متن المركب وتغرق. أخذت تتأمل جانب وجهه. هل كانت أهدابه طويلة بهذا الشكل دوماً؟ أتراه ازداد وسامة في السنوات العشر الأخيرة؟ ربما لا. إنه تأثير ضعفها و هاهي تراه مرة أخرى بعد غياب طويل لكنه مازال جاكس نفسه. لعله أكثر اتزاناً؟ هذا صحيح، لكنه هو نفسه.

اشتبكت نظراتهما، فتوقف وهو يرى المكر في عينيها: «هل ثمة ما يضحك؟».

هزت رأسها: «لا كنت أنظر إليك فقط».

وأشاحت بوجهها وهي تشعر بأنها محظوظة بصداقة جاكس وبعملها معه مضيفة إذ ستبقي ذهنها مشغولاً. جاكس هو مرة أخرى الشفاء مما يؤلمها.

* * *

هذه المرأة تعرف كيف تلوي السكين في الجرح. لقد نظرت

وابتسمت ثم عانقته وقالت له (أحبك) من دون اهتمام فنشب في قلبه مخلب سبَّب جروحاً بليغة.

لا بد أنها تظن أنها تعرف شعوره أو أنها تعرف ما يمكنها مواجهته من دون أن تهتز (مرآب المشاعر) حسب تعبيرها. الحقيقة ستهز المراكب حتماً لا بل ستقلبها. لم يشعر قط في حياته بهذا التناقض في مشاعره كحاله الآن. إنه يريد أن يهز مركبها، أن يقلبه، أن يغرق هذا الشيء اللعين. ولكن هل يمكنه أن يتعمد إغراق كيم؟ أن يخيفها بحقيقة أنه يحبها، ليس كصديق بل كرجل؟ رجل من البشر..... إنسان يغرق في بحر عاصف لا قعر له من الوحشة.

الحقيقة ستحرره،لكنها ستدفعها إلى الهرب. فالتقارب بين رجل وامرأة بالنسبة إلى كيم يجب أن يكون بعيداً عن أي خلاف، لأن الخلاف يقود إلى الانفصال. لم تر في حياتها قط علاقة ناجحة بين رجل وامرأة. كلا... لا يمكن أن يصبح حبيبها أو زوجها، ففي اللحظة التي يتشاجران فيها ستنهي علاقتها به. كُتب عليه أن يعيش حياته بعيداً عن حياتها.

لولا الوعد الذي قطعه لترايسي، لأمسك بكيم واعترف لها بحبه معلناً أن كل لحظة يمضيها بقربها من دون أن يكون له الحق في أن يلمسها، هي لحظة جهنمية بالنسبة إليه.

وفجأة،لم يستطع أن يتقبل فكرة الجلوس معها إلى العشاء، أو محاولة تبادل حديث مهذب معها. لقد غابت عن ذهنه كل الأمور التي أراد أن يخبرها بها.

- اسمعي يا كيم، تذكرت لتوي أنني مدعوٌ إلى عشاء عمل،

وعليّ أن أذهب. سأعود متأخراً. آسف بالنسبة إلى العشاء.

ونزل السلم بسرعة من دون أن يترك لها فرصة للرد ثم اتجه إلى المرآب.

أمل أن يتمكن من الصبر حتى تنهي كيم عملها كمضيفة. عندما وصل إلى المرآب، أغلق الباب خلفه بحزم ثم وقف وهو ينظر من حوله بفتور. إلى أين هو ذاهب؟ ما الذي يفعله؟ وهمس لنفسه: رباه عندما يحين الوقت، ساعدني على إخراجها من حياتي و....

بالكاد استطاع أن ينطق بقية الدعاء.... من قلبي أيضاً.

مفاجأة أم صدمة

كانت كيم مسرورة من الخطة التي وضعتها وقررت أن تدع الهاتف وتخرج من المبنى بعد الظهر. وبما أنها لم تر مكتب جاكس، استقلت سيارة أجرة مصممة على أن تقوم بجولة سريعة. لقد اشتاقت إليه الليلة الماضية بعد خروجه بذلك الشكل المفاجئ كما خرج في الصباح قبل أن تستفيق كما لو أنه يتجنبها.

لقد أمضت معظم الليل تحاول أن تفهم لكنها لم تفلح.

عندما وصلت إلى العنوان، قفزت من السيارة وأخذت تحدق في ناطحات السحاب التي تعكس بحيرة ميتشغن المتألقة والسماء الزرقاء الخالية من الغيوم. ابتسمت وهي تنظر إلى أعلى المبنى وقالت: «آه ياجاكس ما كان لك أن تتكدر في يوم كهذا فأنا افتقد ابتسامتك الرائعة».

في الداخل أخذت تتفحص جدول أسماء شاغلي المبنى، وعندما وجدت المستشارين جيريون وروس استقلت المصعد إلى الطابق الثاني والعشرين.

انفتح المصعد على بهو تألق بالزجاج والرخام الأبنوسي وقد نقشت أحرف ذهبية على الجدار تشكّل اسمي جيريون وروس فوق رأس شقراء جذابة تجلس خلف مكتب الاستقبال.

عندما ذكرت كيم أنها ضيفة في بيت جاكس أرشدوها الى

www.elromancia.com

مكتبه على الفور ماجعلها تشعر بالأهمية. يبدو أن نزولها ضيفة على جاكس جعلها شخصية هامة وشعرت بتحسن بعد ذلك الإهمال والنبذ اللذين تلقتهما منه. وعندما دخلت إلى مكتب سكرتيرته خطرت في بالها فكرة مرحة فسألتها إن كان بإمكانها أن تفاجئه بحضورها وعندما حاولت السكرتيرة أن ترفض اعترضت كيم قائلة: «أنا ضيفة في بيته في «سانت لويس». واسمي هو «كيم نورمن»».

اتسعت ابتسامة السكرتير وقالت: «أنا واثقة من أن السيد جيريون سيرغب في أن تدخلي إليه مباشرة».

دخلت كيم إلى غرفة جاكس والابتسامة على فمها وكلمة «مفاجأة» على طرف لسانها، ولكنها جمدت مكانها قبل أن تتلفظ بهذه الكلمة.

بدا جاكس وامرأة أخاذة المظهر في وضع حميم. لم يكن يقبّلها تماماً. فالمرأة كانت تضحك فيما قهقه جاكس، جاكس صديقها الحميم بصوت خافت... نعم قهقه. ودخل صدى صوته العميق إلى رأسها بشكل مؤلم.

- جاكس، أنت «تدغدغني». هذا ليس عدلاً.

وتشبثت المرأة بكتفيه وهي تضحك بعصبية وشفتاها لا تبعدان عن شفتيه سوى إنش واحد. فيما ردّ هو: «أنت تتلوين».

- أتريدينني أن أفعل هذا؟

- نعم، نعم أرجوك...

أجابته متوسلة بصوت أجش:

- جاكس، أنت تجنني!

- آوه... يا...

وطرفت بعينيها. أتراها قالت هذا بصوت مرتفع؟ كعادتها أحياناً؟ هذا ما يبدو. لأن جاكس والمرأة التفتا ناحيتها.

- كيم؟

وظهرت ابتسامة على وجهه ثم تلاشت وهو يبتعد عن المرأة: «أنا لم.....».

وسكت مجفلاً قليلاً ولم يتابع كلامه. أما زميلته في هذا المشهد فابتعدت أيضاً والتسلية على وجهها وهي تسأله: «كيم؟ إذن هذه هي (صديقة) الطفولة التي سمعت الكثير عنها».

ونظرت خلفها إلى جاكس الذي كان يلبس قميصاً أبيض وربطة عنق ثم ربتت على صدره. كان تأثير هذه الحركة التي تعكس الإلفة عاصفاً على كيم، وشعرت بدوار وأخذت تتنفس ببطء.

- جاكس حبيبي... شكراً على مباراة المصارعة هذه.

بدا صوتها عملياً وكأنها تمضي عصر كل يوم وهو يدللها. وجمعت المرأة بعض الملفات من فوق المكتب وأسندتها إلى صدرها الذي كان ملتصقاً بجاكس منذ برهة.

شعرت كيم بما يشبه طعنة سكين تخترق جسدها وهي تحدّق في المرأة التي استدارت حول المكتب واتجهت نحوها. وعندما أصبحت على مقربة منها، مدّت يداً نحيلة لتصافحها من دون أن يبدو عليها أي ارتباك لأنها ضُبطت مع جاكس.

- أنا ترايسي روس، زميلة جاكس. جميل أن يضاف وجه إلى الاسم.

لم تستطع كيم أن تسمعها والدم يتدفق في أذنيها بعنف. شعرت برغبة في الهرب إلا أنها استطاعت أن تحافظ على هدوء ظاهري، ومدت يدها تتقبل المصافحة. كانت يد ترايسي دافئة ما جعل كيم تدرك أن يدها هي كانت كالثلج. سألت: «كيف حالك؟».

وكان هذا السؤال غبياً بحسب رأي كيم، لأن هذه المرأة تبدو في أحسن حال. وحاولت ألّا تظهر أي عداء للمرأة التي أجابت وهي تغمز بعينها بوقاحة: «حسناً! أوقاتنا كلها لعب من دون عمل.... وهذه بهجة كبرى لكنها لا تدفع الفواتير».

وتركت يد كيم والتفتت لترسل لجاكس قبلة: «شكراً مرة أخرى».

واتجهت إلى باب المكتب.

أخذ ينظر إليها وقد رفع حاجبه وكأن ثرثرتها عن فترة استراحتها هذه لم تعجبه. واستطاعت كيم أن تفهم فجاكس شخص كتوم للغاية.

عندما توارت ترايسي، نظرت كيم حولها بغباء، شاعرة بغثيان. لم تستطع أن تفهم سبب شعورها هذا بالضياع فجاكس رجل وليس راهباً.

استعادت رباطة جأشها ونظرت إليه. وسامته المثيرة، وذكرى ما حدث للتو، كانا أشبه بصفعة بالنسبة إليها. لقد آلمها ذلك للغاية، لكنها قالت متصنعة المرح: «مرحباً».

تنحنح، وأومأ بشكل غامض، فأضافت: «أنا.. أراهن على أنك مدهوش لرؤيتي».

هل كان عليها أن تذكره بما رأت عند دخولها؟ وذكرت نفسها بأن هذا ليس من شأنها، وأنها لا تملكه. ماذا كانت تتوقع؟ أن يسجن نفسه في زنزانة بانتظار زيارتها هي كمبرلي نورمان، أن يعد الأيام منتظراً زيارتها لحل مشكلتها التالية؟

أومأ قائلاً: «نعم.... قليلاً».

فقالت بابتسامة اعتذار، وهي تفتح ذراعيها بفتور: «مفاجأة».

لكنه قطب حاجبيه ولم يجب.

وأدركت فجأة أنه لم يسبق لها أن فكرت في جاكس ونساء أخريات. وهو بحسب ما تتذكر لم يتخذ لنفسه صديقة قط. كان يخرج مع الفتيات طبعاً، لكن من دون أن يلتزم بواحدة. كان قد ذكر لها أن زميلته في العمل امرأة، لكنه أهمل ذكر جمالها الخلاب. وتملكها الاستياء فهل كلمة زميلة تعني أكثر من مجرد العمل بين جاكس وترايسي؟ صحيح أن الجمال لا يؤثر كثيراً في جاكس، ولكن... كانت تقبّله تقريباً. ولكن ماذا في ذلك؟من يقبّل جاكس أو لا يقبل هو شأنه الخاص.

- في الواقع،قالت لي سكرتيرتك إن لا بأس في...

وماتت بقية الجملة على شفتيها وهزت كتفيها مضيفة: «أنا آسفة للغاية لدخولي المفاجئ ورؤية...».

لم تستطع أن تقولها... أن تفكر فيها،رغم أن ما رأته أحرق دماغها وقالت:«إنها جميلة».

فقال وهو ينظر إليها برزانة: «نعم. إنها كذلك».

هل هذا كل ما سيقوله..؟ أرادت أن تعلم الكثير.. الكثير! هل العلاقة جدية؟ هل يحبها؟ هل يخططان للزواج؟ ماذا تعني

هذه المرأة لجاكس بالضبط. وعندما بدا لها أنه لن يقول شيئاً آخر لم تعد تحتمل،فقالت بما أمكنها من عدم الاهتمام: «أتراني أسمع رنين أجراس زفافكما؟».

شبك ذراعيه على صدره وقال وهو ينظر إليها بحيرة: «أحب أن أتزوج يوماً ما لكن تريسي ليست من النوع المتحمس للزواج».

وشعرت بعجز منافٍ للمنطق .يالها من سخافة وسطحية أن تشعر بالألم لأن جاكس يريد أن يتزوج بامرأة ما! سطحية وغباء وجنون...

- حسناً،أنت رجل يحصل على ما يريد ولدي ثقة كاملة بك!

وكانت تعني في سرها أن يعود إلى رشده فقد أدركت أن ترايسي غير مناسبة له.

وحاولت أن تخمن السبب الذي جعلها تكرهها إلى هذا الحد، وما الذي فعلت هذه المرأة سوى أنها أصبحت هدفاً لرغبة جاكس؟

- بإمكاني،في الواقع أن أشرح...

- كلام فارغ.

لم تكن تعشق التفاصيل بكل تأكيد.وتابعت تقول: «حياتك الشخصية شأنك الخاص. أنت رجل،وهي امرأة. وأنتما زميلان. وهذا...».

وأكملت في سرها: هذا مخيف تماماً وأنا أكرهه. لكنها تابعت تقول بلهجة عرجاء: «هذا طبيعي».

صعب عليها النظر إليه،إذ بدا بالغ الوسامة،لكنه جاد تماماً.

حاولت أن تجد ما يلهبها لكن ذهنها رفض أن يطيعها. ماذا لو تأخرت عن الدخول دقيقة واحدة؟ وعاودها الشعور بالغثيان وأخذت تلهث. تنفست بعمق ثم زفرت ونظرت إلى ساعة معصمها باهتمام مبالغ فيه قائلة: «أرى أنّ الوقت تأخر. علي أن أذهب. لدي أمور علي أن أقوم بها،كما تعلم».

واستطاعت أن تنظر إليه وهي تبتسم بصعوبة ثم رفعت يديها تشير إلى مكتبه وأثاثه النفيس الرائع،وإلى المنظر الخلاب من النافذة،وهي تضيف: «هذا رائع الجمال... رائع حقاً».

فقال بشيء من الحماسة: «شكراً».

وتملكها الحزن وهي تراه واقفاً، مهذباً لطيفاً مثيراً للغاية. كان قميصه الأبيض وسرواله الأسود يناسبانه تماماً من دون عيب، وخصلة «الفتى السيء» تلك تسخر منه.

عادة،ما تشعر بالراحة والاسترخاء مع جاكس لكن ليس اليوم. يبدو أن مقاطعتها لهما أثارت غضبه ولعله الليلة الماضية كان مشتاقاً لترايسي. من الواضح أن زيارتها له عقّدت حياته، سواء اعترف بذلك أم لم يفعل. وشعرت بالحرارة تكتسح وجهها، وتمنت لو أن وجهها ليس محمراً خجلاً.

- حسناً، عليَّ أن أذهب.

واستدارت لتخرج وإذا بها تتذكر أحد الأسباب التي جاءت من أجلها فالتفتت إليه: «أنا ذاهبة إلى السوبر ماركت. أتريد شيئاً للعشاء؟».

- لست واثقاً من موعد عودتي إلى البيت فلا تزعجي نفسك..

أرادت أن تصرخ: أنت لست مزعجاً يا جاكس وسأحضر لك ما تريد، ألا تفهم؟ أنا أحبك!

لكنها أومأت فقط، وقالت: «كما تشاء».

أخذت تعالج حمالة حقيبتها، آملة أن يتكلم. لكن عندما بقي صامتاً أدركت أن عليها أن تذهب قبل أن يرى ما لا تجرؤ على الاعتراف به. إنها لا تستطيع حتى أن تفسر مشاعرها لنفسها.

ابتلعت ريقها واستدارت مبتعدة ثم نادت وهي تخرج من باب المكتب: «وداعاً».

لكنه لم يجبها أبداً.

* * *

أخذ جاكس ينظر إلى كيم وهي تغادر مكتبه مدركاً تماماً ما ظنته يجري بينه وبين ترايسي، كما أن زميلته المرحة لم تصلح الأمور بتلميحاتها الوقحة وحركاتها غير المهذبة. أراد أن يقفز من فوق المكتب ليخنقها لكنه استطاع بشكل ما أن يحافظ على هدوئه.

كاد يخبر كيم الحقيقة... وهي أن ترايسي جاءت إلى مكتبه لتأخذ الملفات عندما اشتبكت عروة سترتها المصنوعة من الصوف بزر قميصه، وعندما دخلت كيم، كان هو يحاول أن يفكهما عن بعضهما البعض وترايسي زميلة ممتازة في العمل لكنها عند المزاح، مغفلة تعجز عن مقاومة الرغبة في العبث. ربما كان عليه أن يحاول شرح الأمر لها بإصرار أكبر لا أن يسكت عندما قاطعته. إذا لم تهتم فلِمَ يزعج نفسه؟

كلما رأى كيم، تعصف به المشاعر. واليوم، دخلت مرتدية

ذلك الطقم الحريري الأخضر وقد بدا شعرها الأحمر ملتهباً حول وجهها الجميل، وبهرت ابتسامتها النظر بإشراقها ومودتها. كان للبهجة التي تملكته لرؤيتها تأثير عميق ما جعله لا يستطيع التفكير بشكل مترابط وأفقده قدرته على الكلام وتركه أحمق أبكم.

www.elromancia.com

٦ - غباء ، غباء

شعرت كيم وكأنها تلقت ضرباً مبرحاً إذ تملكها صداع وعانت من دوار كما شعرت بصعوبة في التفكير بشكل سليم. ومنذ عودتها إلى منزل جاكس، شعرت مرة أو اثنتين بصعوبة في التنفس وأخذ قلبها يخفق وكأنها أنهت لتوّها سباقاً. ألقت بنفسها على الأريكة، وهي تتساءل عما أصابها في مكتب جاكس؟ مهما كان اسم ما أصابها فقد أوهنها بسرعة فائقة.

تنهدت بصوت مرتفع، وعادت تضع المنديل المبلل بالماء البارد على عينيها محاولة للمرة الألف ألّا تتذكر مظهر جاكس وهو يبتسم، ويضحك، ويلمس زميلته. دلكت صدغيها، متمنية لو تستطيع أن تنشب أظافرها في جمجمتها لتتخلص من الجزء الذي يعيد تصوير ذلك المشهد، فتقطعه إرباً إرباً ثم تحرقه حتى يصبح رماداً.

سمعت شخصاً يبكي، وميزت شهقات وغمغمات غير مفهومة. واهتزت وهي تدرك أن هذا النواح آت من حنجرتها هي. انتصبت جالسة وقد صدمتها حقيقة لا تطاق.

- كلا... أرجوك يا الله.... كلا.

هزت رأسها، وضغطت بالخرقة المبللة على فمها لتخنق الشهقات وأي أصوات أخرى قد تصدر عنها. لم تجرؤ على

النطق بالحقيقة التي تجلّت لها. لم تجرؤ على النطق بها بصوت مرتفع. وعبثاً حاولت نبذها لتجدها تعود بعنف ومن دون هوادة وبشكل مريع. وسقطت الخرقة في حجرها وهي تصيح: «كلا.... كلا... يستحيل أن أحب جاكس».

لقد حدث الأسوأ. وتركت هذه الكلمات المشينة تنزلق من فمها. نظرت من حولها مذعورة وكأن الجدران قد تخونها وتردد اعترافها لجاكس!

تمسكت بالخرقة المبللة وأخذت تلويها بيدين مرتجفتين وهي تهمس برهبة: «آه يا جاكس... هذا غير ممكن...».

لا.... لا يمكنها أن تنطق بهذه الكلمة مرة أخرى. حبها لجاكس بتلك الطريقة هو.... هو مستحيل. إنه أفضل أصدقائها، وموضع ثقتها، ولا يمكن أبداً أن يصبح حبيبها فالمرأة تفقد حبيبها.

ومالت فجأة إلى الأمام وصرخت: «لا يمكنني أن أفقدك يا جاكس، لن أحبك بتلك الطريقة».

وتنفست بعمق لتستعيد توازنها. عليها أن تحتفظ بجاكس في زاوية خاصة من قلبها. زاوية (أفضل أصدقائها) فيمكنها وبهذه الطريقة أن تحتفظ به إلى الأبد.

لكن لا يمكنه أبداً أن يصبح حبيبها، لأن الأحباء يتخاصمون... الأحباء يفترقون. وفكرة ألّا ترى جاكس مرة أخرى جعلتها تشعر بالغثيان. وهمست: «لا يمكنني أن أفقدك، العلاقة تغير الأمور الحميمة، تجعل الناس ضعفاء ومتملكين وعديمي الثقة، يشعرون بالمرارة فيتخاصمون ويستحيل حبهم إلى

كراهية».

ارتجفت وهي تتذكر المعارك التي شهدتها خلال حياتها، ثم همست بصوت مرتجف: «لا أستطيع أن أدع هذا يحصل بيننا يا جاكس، فأنا بدونك أذبل وأموت».

وساورتها فكرة مفاجئة: «علي أن أرحل».

عليها أن ترحل الآن قبل أن تفتضح مشاعرها. وركضت نحو السلم لكنها توقفت في منتصفه بعد أن تذكرت وعدها لجاكس بأن تكون مضيفته..... يا إلهي.. ما الذي تفعله؟ إذا ما رحلت فسيقع جاكس وترايسي في مأزق، والأصدقاء لا يعاملون بعضهم بعضاً بهذا الشكل.

كيم نورمان، لقد وعدت جاكس بأن تساعديه.... وأخذت تذكر نفسها كيف فتح لها باب بيته واستضافها من دون إشعار مسبق.

وأخذت تجادل نفسها بأن هذا صحيح، لكنه لا يحبها وبالتالي وجودها في بيته لا يحرك مشاعره، بل هي التي ستتعرّض للغرق.

غطت عينيها بيد مرتجفة... ماذا عليها أن تفعل؟ رحيلها يعني أنها جبانة،نكثت بوعدها. أتراها جبانة إلى هذا الحد؟ علاقة جاكس الغرامية بترايسي جعلتها تواجه حقيقة مشاعرها، لكن هذا لا يعني أنها لا تستطيع أن تحتمل قضاء أسبوع آخر بقربه. ومسحت دمعة انحدرت على خدها. لقد أحبت جاكس جيريون ليس كصديقة، بل كامرأة ناضجة. كم من السنوات أمضت في محاربة هذه الحقيقة؟ لو كانت صادقة تماماً. لأدركت

أنها فعلت هذا معظم سنوات حياتها. هل هي من الضعف الآن بحيث لا تستطيع أن تخفي مشاعرها بما يكفي لتقدم له هذه الخدمة، بعد كل الخدمات التي قدّمها لها؟

وأخذت تحدث نفسها أنها ستعود بعد أسبوع الى «سانت لويس» حيث يمكنها أن تواجه مشاعرها وتتدبر أمرها. بعدئذ، ستكون أكثر حذراً ووعياً فتكتب إليه وتتصل به، لكنها ستبقى بعيدة عنه.

تملكها حزن هائل، فجلست على السلم وراحت تبكي. فالمرأة التعيسة الحظ في داخلها لم تعد تستطيع إخفاء شوقها، ورغبتها في أن تضمها ذراعا جاكس كالحبيبة التي تريد أن تكونه. لكن عليها أن تخفي ضعفها وتحطم قلبها، وأرغمت نفسها على الوقوف.

لن تسمح لتلك المرأة المنعزلة الباكية بأن تسيطر عليها. وخطر لها أن الضعف سيقدم لها سعادة مؤقتة.. لكنها وعلى المدى الطويل ستخسر أكثر مما يحتمله قلبها.....

وهمست تحدث نفسها: «سوف أخسر جاكس».

* * *.

استيقظت كيم مجفلة ونظرت إلى ساعتها فوجدتها تشير إلى الثانية والنصف. تثاءبت شاعرة بالحنق على نفسها. لقد نامت منذ أقل من ساعة وبعد طول معاناة، فأيقظها شيء ما. كانت تعلم أنّ جاكس عاد إلى البيت قرابة الحادية عشرة، إذ سمعت صوت باب المرآب يفتح، ثم سمعت حركة تحت غرفة نومها. وبعد قليل سمعت وقع قدميه وهو يصعد إلى غرفته، وكان هذا قرابة منتصف

الليل. أخذت تتقلب في السرير حتى الساعة الواحدة والنصف لتستسلم بعد ذلك لنوم متقطع.

تثاءبت مرة أخرى، ثم جلست وقد أدركت أنها جائعة. لقد منعها التكدّر من تناول العشاء، فضلاً عن انشغالها بالتخطيط لاجتماع جاكس وترايسي الوشيك. ارتدت عباءة من الحرير فوق قميص النوم وتركت غرفتها متوجهة إلى السلم. لم تكن تتوقع أن ترى ضوءاً في غرفة الجلوس... لكن عندما وصلت إلى السلم، لاحظت أن النار تشتعل في المدفأة. كما رأت جاكس جالساً على الأريكة، منحنياً إلى الأمام يحّدق في النار. حدقت كيم فيه فيما النار ترسم ظلالاً محيّرة على عضلات جسده وذراعيه وظهره. وكالعادة، أخذت خصلة الشعر المتمردة تلك على جبينه تداعب قلبها.

لم تستطع أن تتصور ما الذي يشغل باله فيجعله يسهر أمام النار إلى هذه الساعة من الليل. ترى هل اجتماعه برجال الأعمال اليابانيين من الأهمية إلى حد يجعله لا يستطيع النوم؟

أخذت تراقبه بحذر. وامتلأ قلبها عطفاً وحناناً نحوه، فهمست: «جاكس».

كان شارد الفكر،لكنه التفت إلى مصدر الصوت. وعندما رآها على قمة السلم تلاقت أعينهما. فابتسم ابتسامة تشجيع: «هل ثمة ما يقلقك؟».

كان مقطباً فبقي كذلك، ووقف وهو يتخلل شعره بأصابعه: «هل أيقظتك؟».

- لا، لقد استيقظت جائعة، فهل تناولت الطعام؟

هز كتفيه الرائعتين فانحبست أنفاسها أمام جماله الأخاذ.

- أظنني... تناولت شيئاً.

فابتسمت بعطف وهي تتقدم نحوه. ذاك الفتى المنطوي على نفسه الذي سبق وعرفته في المدرسة اختفى، وأصبح جاكسون رجلاً يحبس الأنفاس بروعة رجولته، ما جعل الجهد الذي تبذله كي تبقى مجرد صديقته المفضلة، مضاعفة. واستجمعت قواها وسارت إليه وأمسكت بيده: «هيا بنا نعد بعض شطائر اللحم. مارأيك؟».

وحوّلت عينيها عن عينيه لتستعيد توازنها فالنظر إلى هاتين العينين يزيد من توترها ويفقدها اتزانها، ويضعفها أمامه، وهذا خطأ بالغ.

توجهت إلى المطبخ وهي لا تزال تمسك بيده. قررت أن تبقي الحديث سطحياً بينهما ما يبعدها عن التفكير بأمور لا ينبغي التفكير فيها.

- يومي كان حافلاً بالأحداث. أنا واثقة من أنك ستكون مسروراً للمخطط الذي وضعته لتسلية الزوجات اليابانيات كما أنّ المبلغ الذي وضعته في تصرفي... حسناً، يسعدني أن أقول إنه أكثر من كافٍ.

ونظرت إليه فانزلق نظرها مرة واحدة إلى صدره، وكان هذا خطأ فاحشاً إذ تشتتت أفكارها ما جعلها تتلعثم ثم تسكت. أضاء جاكس المطبخ مرتبكاً، بينما تركت هي يده وهرولت إلى الثلاجة، آملة أن يساهم إدخال رأسها فيها في تبريد وجنتيها الملتهبتين: «اجلس أنت فيما أحضّر أنا. أتريد شيئاً تشربه؟

شاي؟ ماء؟».

- أنا سأحضره..

كان صوته قريباً منها بشكل ينذر بالشؤم. لكنها لم تجرؤ على النظر، بل قالت له وهي تشير بيدها إلى المائدة بينما بقي رأسها داخل الثلاجة: «لا لا، أنت متعب».

- وأنت كذلك..

تنهدت وأغمضت عينيها. إنه عنيد للغاية أحياناً! وبدلاً من الجدال، رفعت الطبق الذي تبقّى من لحم «الروستو»، ثم استدارت بحذر. وجود الإناء الزجاجي بينهما أشعرها بالأمان على الأقل.. من نفسها فهي لا تستطيع القيام بأي حماقة بيديها.

- إذا كنت مصراً فيمكنك أن تحضر الخبز. أنا متلهفة إلى كوب شاي.

مضت دقائق لم ينطق فيها أحدهما بكلمة. وتملكها عدم الارتياح لهذا الصمت إذ سمح لذهنها بأن يشرد بعيداً، إلى مواضيع من الأفضل تجاهلها. وأغمضت عينيها معنفة نفسها بصمت لهذه الأفكار العنيدة.

وصرخت!

- ما الذي حدث؟

- غباء غباء غباء..

ووضعت إصبعها في فمها تمتصه.

- هل جرحت نفسك؟

أومأت وهي لا تزال تمتص الجرح.

فأمسك بيدها يخرج إصبعها من فمها: «دعيني أنظر إلى

الجرح».

كان الدم يسيل من الجرح على راحتها.

- إنه بحاجة إلى تقطيب. سآخذك إلى الطوارئ.

قالت وهي تنتزع إصبعها من قبضته: «لا تكن غبياً، لست بحاجة إلا إلى ضمادة».

تناول منديلاً لفّ به إصبعها، وقال: «سنذهب إلى المستشفى».

نزعت إصبعها من يده مرة أخرى: «اذهب أنت إذا شئت، أما أنا فلا أريد».

لم تشأ أن تذهب إلى أي مكان، وتابعت تقول: «سبق وجرحت نفسي بشكل أسوأ من هذا ولم أذهب إلى المستشفى».

وأخذت منديلاً آخر مسحت به الدم الذي كان يسيل على المنضدة.

- هل سأضطر إلى أن أحملك؟

فقالت ساخرة: «تعلم أنك مخطئ عندما تلجأ إلى القوة».

- وعندما يغمى عليك من نزيف دمك، ستعلمين من هو المخطئ.

فاستدارت نحو باب المطبخ: «إذا لم تشأ أن تحضر لي رباطاً وسائلاً مطهراً، فسأحضرهما أنا، أشكرك كثيراً».

- مازلت أقول (التقطيب)..

- اخرس يا جاكس، أنا أعني ما أقول..

انزعجت من نفسها لقولها هذا وأوشكت أن تصرخ وعنفت نفسها على استخدام السكين مغمضة العينين.

من الأفضل أن تحوّل انتباهه الآن فقالت: «أحضر فقط

الضماد والمطهر ثم اخرس».

توتر فكه فأدركت مدى الإحباط الذي يشعر به. وبعد دقيقة، هز رأسه وشخر ثم تقدم نحوها وأمسك بيدها المصابة يرفعها إلى أعلى: «ارفعيها فوق رأسك وابقيها كذلك حتى أعود على الأقل».

- سأفعل، سأفعل، فقط اذهب. أنا لست طفلتك، كما تعلم.

- وأنا لست والدك اللعين..

صرخ بذلك يجيبها وقد بدا صوته أقل جفاء مما.. أي كلمة كانت تبحث عنها؟ إستياء؟ إنهاك؟ حزن؟ واختلط عليها الأمر. لعلها تعاني من دوار. رؤية الدم تؤثر فيها أحياناً خصوصا دمها هي. أصبح النزيف الآن أخف فبدّلت المنديل ثم أسندت مرفقها إلى ظهر الكرسي. وخاطبت المطبخ الخالي: هذا أكثر مما يحتمله قلبي، فهل أنت سعيد الآن يا جاكس؟

لا. لم يكن سعيداً. لم يكن سعيداً عندما رأته يحدّق في النار، وها هي تتشاجر معه بينما هوخائف عليها من كل قلبه.

* * *

كان جاكس قد أمضى نهاراً سيئاً إلى أقصى حدّ. أولاً تلك المواجهة الغريبة التعيسة بين كيم وترايسي في مكتبه.. والآن مشاعره نحو كيم التي حرمته النوم فجلس يحدق في النار. أخرج صندوق الإسعافات الأولية وهو يحدث نفسه بأنه مخبول تماماً...

عاد إلى المطبخ، فصدمه مرة أخرى مدى جمالها حتى

والعبوس يكسو وجهها.

وضع كرسياً أمامها وقال وهو يجلس عليه: «هيا هاتي يدك».

امتثلت لقوله من دون جدال فأزاح المنديل عن الجرح وتملكه الارتياح وهو يرى النزيف قد توقف تقريباً. وقالت: «أرأيت؟ لقد أخبرتك».

ألقى عليها نظرة تعني أن الجرح ما زال بحاجة إلى تقطيب لكنه لم يتكلم. كلما أسرع في إبعادها عن نظره، كلما كان ذلك أفضل. قال وهو يضع سائلاً مطهراً على بعض القطن: «ارفعي يدك».

أغمضت عينيها بشدة تعد نفسها لاحتمال الألم فيما مسح هو الجرح وهو يقول: «آسف».

بقي الإجفال على وجهها إلى أن انتهى من وضع الضمادة ففتحت عينيها وقالت: «يمكننا الآن أن نعود إلى الشطائر».

شرعت تقف لكنه أوقفها واضعاً يده على كتفيها: «سأقوم أنا بتحضيرها».

- جاكس. لقد غيرت رأيي. أنا لم أعد جائعة.

حدق فيها فبدت له شاحبة، وسألها: «هل تشعرين بالغثيان؟».

وجاهد كيلا يلمس شعرها وخديها. وهزت رأسها.

- لا، لكن... أظن أنني سأعود إلى السرير.

وعندما همت بالوقوف ترنحت ثم هبطت على الكرسي بعنف وهي تتأوه.

- رؤيتك للدم جعلتك تشعرين بالغثيان.

أومأت وهي تضع مرفقيها على الطاولة ورأسها بين راحتيها.

كان عليه أن يدرك ذلك، فلطالما وجدت صعوبة في مواجهة الدم. في مكان ما من مد وجزر مشاعره... وسط الغضب، الإحباط، والرغبة، واليأس، والحزن، كان يعرف شعوراً لا يمكنه أن يقاومه هو حبه لها. وقال: «لا بأس! فلنذهب إلى السرير».

لم ترفع بصرها إليه وهو يدس ذراعه تحت ركبتيها. إذا استطاعت أن تتجاهل ذلك فهو أيضاً يستطيع و من دون كلمة أخرى رفعها عن الكرسي.

وابتسمت له بكآبة وهي تطوّق عنقه بذراعها وتضع رأسها على صدره هامسة: «يالي من امرأة ضعيفة».

أخذ يتشمم رائحة شعرها التي أثارته... ولم يستطع أن ينطق بكلمة فخرج بصمت من المطبخ واتجه نحو السلم. كان جسمها يضغط على جسمه.

راح ينظر أمامه مباشرة محاولاً أن يفكر في أمور أخرى غيرها، وألاّ يتأوه بصوت مسموع... محاولاً أن يبقى مستقيماً رغم رغبته الساحقة في الانحناء عليها لمعانقتها.

وأخيراً وصل إلى بابها. بدا أنها أدركت أين أصبحا، لأنها فتحت عينيها والتفتت إلى الباب تفتحه قبل أن تستدير نحو جاكس باسمة لتأخذ وجهه بين كفيها وتعانقه.

أجفل وجمد مكانه وهي تهديه هذا العناق الطويل الدافئ. وبعد لحظات، همست: «ليلة سعيدة يا جاكس».

نزلت من بين ذراعيه.

وبعد لحظة،أقفل الباب. لم يعرف كم أطال وقوفه هناك، في

الظلمة، جامداً كالميت... دقيقة أم دهراً. وتملكته رغبة في أن يكسر الباب ويسير إلى سريرها ثم... تباً لذلك! واستدار مبتعداً هابطاً السلم نحو النار المشتعلة، والتي لم تكن تقارن بنار جهنم في داخله. عندما وصل إلى نهاية السلم، صرخ متأوهاً: «لِمَ فعلت ذلك، يا كيم؟ لماذا؟».

واشتدّت قبضتاه محاولاً أن يتمالك نفسه، لكنه تهاوى منهكاً على ركبتيه.

٧ - فرصة للشفاء

لِمَ بحق السموات عانقت جاكس؟

أغمضت كيم عينيها وهي تعنف نفسها للمرة المليون. ما الذي تملّكها؟ تذكرت أنها كانت تشعر بغثيان ودوار فحملها جاكس وسار بها إلى غرفتها، ويبدو أنها أصيبت بخلل في عقلها لأنها عانقت جاكس. سبق وعانقته من قبل لكن ليس كامرأة بل كصديقة.

تذكرت أنه حاول في المدرسة الثانوية أن يعانقها لكنها تجنبت محاولته تلك خوفاً من النتيجة لأنها كانت تعلم أن أي حب بينهما سينهي الصداقة التي تعتز بها. لماذا هذا العناق يا كيم وأنت تعلمين مدى خطورته؟ وأخذت تعنف نفسها بصمت. أتراها من أولئك الذين يهوون تعذيب أنفسهم؟

وتخيلت نفسها بين ذراعيه.. فانحبست أنفاسها، والتهبت وجنتاها.

- هل من خطب؟

أعادها سؤال جاكس إلى الواقع. كانا في سيارته الجاكوار، متوجهين إلى بيته الريفي. وعلى الرغم من أن رجال الأعمال اليابانيين وزوجاتهم لن يحضروا قبل يوم الإثنين، إلا أن جاكس أرادها أن تذهب إلى هناك باكراً لتتآلف مع المحيط، وليعرفها إلى

موظفيه، ولتتدرب على واجبات الضيافة.

ستنضم إليهما ترايسي يوم الأحد ما يقلل من إمكانية أن تقدم على حماقة أخرى.

قال وقد بدا عليه الاهتمام: «كيم؟».

- ماذا؟

ربما عليها أن تعتذر؟ على أيّ حال لم يبادلها العناق أو حتى يتجاوب معها، وتصورت أنه ارتبك حينذاك فلِمَ تربكه مجدداً؟

- هل أنت على مايرام؟ إن وجهك أحمر، فهل جو السيارة حار؟

تظاهرت بعدم الاهتمام ولم يكن هذا سهلاً مع احمرار وجهها الشديد: «أنا... لعله كذلك فعلاً.... نعم، الحرارة في السيارة مرتفعة».

عدّل حرارة جهاز التدفئة: «آسف، لماذا لم تقولي ذلك؟».

تحركت لتنظر من النافذة إلى الغابات والتلال التي يمران بها والمزخرفة بأزهار الخريف الرائعة، ثم سألت: «كم بقي أمامنا من الوقت لنصل؟».

- ليس كثيراً..

التفتت إليه وقالت: «لا بد أن منزلك الريفي فسيح للغاية ما دمت تستطيع أن تستضيف فيه ضيوفاً كثيرين. لِمَ اشتريت بيتاً كبيراً كهذا مادمت لا تستعمله؟».

حدق فيها لحظة أقصر من أن تفهم معنى النظرة التي بدت في عينيه، لكنها أحست بحزنه قبل أن يعود بنظراته إلى الطريق: «قبل خمس سنوات أوشكت أن أتزوج».

www.elromancia.com

صدمها هذا الخبر. ومضت دقيقة كاملة قبل أن تستطيع الكلام: «أنت؟ تتزوج؟».

أومأ ونظراته لا تزال على الطريق: «تقريباً».

لم تستطع أن تصدق ذلك: «أحقاً؟ ولِمَ لم تتزوج؟».

أجفل وتوترت شفتاه. يبدو أن هذا الموضوع حساس لكنها لم تستطع أن تحمل نفسها على قول: لا بأس هذا ليس من شأني.

كانت تعلم أن عليها أن تقول ذلك. وأحست أن جاكس يريدها أن تقول ذلك لكنها أقفلت فمها، كانت بحاجة لأن تعرف عن ذاك الزواج وعن العروس التي أوشك على الاقتران بها.

عندما أوضح صمتها ما تريده تنحنح وهز كتفيه: «لم ينجح المشروع لكنني أبقيت المنزل. أرجو أن أؤسس فيه أسرة ذات يوم».

فكرة أن يربي جاكس أولاداً.. أولاده من امرأة أخرى.. هذه الفكرة جعلت الدم يبرد في عروقها.. فارتعشت. ولا بد أنه لاحظ ذلك لأن تقطيبه ازداد: «هل تشعرين ببرد؟».

شعرت وكأنها معتوهة بسبب حرارتها التي تتغير في كل لحظة. وهزت رأسها إذ لم تشأ أن تعترف حتى لنفسها بهذا الشعور بالغثيان الذي تملكها..

- ها قد وصلنا.

تملكها الارتياح فجلوسها بجانب جاكس مدة ساعة ترك أثراً مدمِّراً على مشاعرها. ولم تستطع أن تخفي حماستها لوصولهما فقالت بسرور: «هذا حسن».

تحول جاكس إلى طريق تحفّ به الأشجار ثم بدا أمامهما

منزل ذو طراز شرق أوسطي قائم على تلة غطت واجهته الخارجية نباتات متعرشة، والتمع قرميده الأحمر في أشعة العصر. كان تصميم هذا البيت ينسجم مع بيئته الطبيعية وينطق بالجمال والراحة.

ابتسمت رغم قلقها ثم سمعت نفسها تقهقه بصوت خافت. كان ضحكاً أقرب إلى العصبية فأطبقت شفتيها بسرعة، لكنه سألها: «لِمَ الضحك؟».

هزت رأسها محاولة أن تتمالك نفسها. وعندما نجحت في ذلك قالت: «إنه.... كامل الأوصاف. إنه غريب».

- هل الكمال يجعلك تضحكين؟ لم أعرف هذا عنك من قبل.

كرهت نفسها لضحكها العصبي هذا ونزلت من السيارة على عجل وعندما وقفت تظاهرت بأنها تتمطى بينما فكّ هو حزام الأمان. وعندما تواجهت نظراتهما أجابت: «بكل تأكيد الكمال يجعلني أضحك».

- لماذا؟

حقاً، لِمَ؟ إنها بحاجة إلى كذبة ذكية قابلة للتصديق وتريدها الآن: «حسناً، لأن.. الكمال.. نادر.. ما يجعلك تبتسم. و.. والابتسام هو مجرد مؤثرات صوتية بعيدة عن الضحك».

بدا وكأنه ينتظر منها متابعة حديثها، فتابعت تقول بتهور: «إذا رأيت شخصاً أو مكاناً أو شيئاً استثنائياً يشعل في داخلي فتيل الضحك ثم.. أضحك... هل هذا مفهوم؟».

بقيت تواجه نظراته بصعوبة، ولم تستطع أن تصدق أنها قالت

(فتيل الضحك) وعضت لسانها لتمنع نفسها من الاعتذار.

لم يقل شيئاً بل أخذ يحدق فيها.. ابتسمت له ثم ضحكت. لم يكن صوت الضحكة يخلو من الزيف وهي تحدق في هذا الرجل الرائع في كنزته الكحلية، هذا الرجل الذي تتلهف إلى عدم الوقوع في غرامه.

وبعد لحظات، توجه إلى صندوق السيارة وأخرج حقيبتها. بما أنه لم يحضر معه ثياباً، افترضت أنه يحتفظ بملابس له في الداخل. وبعد أن رأت المنزل، افترضت أنه لا ينقصه سوى الزوجة والاولاد.

وتقدم منها يمسك بذراعها ليقودها إلى الداخل. كانت لمسته الخفيفة لمرفقها مصدر بهجة بالغة لها.. ومع أنها ليست مقيدة به، إلّا أنها ما كانت لتنفصل عنه حتى لو كانت إرادتها حرة. لمسته جعلتها جزءاً منه.... متصلة جسدياً به، حتى أنها لم تفكر في أن تتنفس طالما أنه يفعل ذلك. أخذت نفساً مرتجفاً، محاولة أن تركز على منزل جاكس من الداخل فبصفتها المضيفة، ستحتاج لحفظ تصميم البيت.

كانت ذاهلة وهي تتعرف إلى مديرة المنزل ماغي... وهي سمراء في منتصف العمر ذات خدين متوردين وابتسامة بشوش. وتعرّفت إلى الطاهي ووكيل الاملاك وخادمتين أخريين. لكنها كانت غائبة الذهن وكل ما كانت تذكره هو لمسة جاكس ودفء اصابعه الرقيقة على ذراعها العارية.

انتقلا من غرفة إلى أخرى، وتذكرت بشكل غامض سقوفاً من الخشب الأسود وأرضاً مبلطة بالآجر الاسباني ومنظراً رائعاً لبركة

للسباحة.

كل ما أدركته، في الواقع، هو أن منزل جاكس مصنوع للضيافة على مستوى رفيع. إنه فردوس المضيفة، لا بل فردوس كل امرأة.

- أنت لا تضحكين.

أخرجتها ملاحظته هذه من تأملاتها أم لعلها استفاقت بعد أن ترك ذراعها محرراً بذلك عقلها؟ طرفت بعينيها مستعيدة اتزانها وفطنتها، ثم نظرت إليه، قائلة:

«أنا.. إنه رائع الجمال. أنا لا أمزح، ياجاكس. بيتك كامل. تلك التي كادت تكون عروسك، لم ترفضك، بكل تأكيد، لأن بيتك ينقصه شيء ما».

قطّبت جبينها شاعرة بالأسف لكلامها فيما شحب وجه جاكس على غير عادته، وتمنت من كل قلبها أن يعود إليه صفاؤه ويتجاوز عن هذا الخطأ منها.

- أنا آسفة. ما كان لي أن أذكر...

- لا بأس! لمعلوماتك، لم يكن المنزل هو المشكلة.

- حسناً، هذا طبيعي، فالمنزل هو.. هو...

- تعنين أنه كامل؟

أذهلها وآلمها شيء في عينيه، شيء عنيف ومرّ. لم تستطع أن تتكلم ولم تستطع أن تفكر. أخذت تحدق في الفراغ شاعرة بالغثيان، وحدّقت في الغرفة الرائعة لتتجنب النظر إلى عينيه. ولاحظت، لأول مرة، الزخارف على الجدران والمدفأة، ليس لأنها أثارت اهتمامها بل لكي تركزّ على شيء ما فيما هي تحاول

www.elromancia.com

تمالك نفسها، والعثور على الكلمات المناسبة. وعادت بذهنها إلى تحديقه الغريب فيها، ودمعت عيناها، فأخذت تطرف بهما لتمنع دمعها من أن يسيل.

- أتريدين أن ترتاحي؟

فطرفت بعينيها بعنف: «نعم. أظن ذلك.. شكراً».

هذا هو جاكس، يتجاوز دوماً عن أخطائها وهفواتها. وعندما استعادت توازنها قالت بابتسامة شاكرة: «أظنني نسيت أي غرفة هي لي».

- سأدع ماغي تأخذك إليها..

وتوارى في لحظة. هل يمكنها أن تلومه بينما هي لم تفكر في خسارته إذ لم يحصل على من أراد أن يتزوجها رغم هذا البيت الرائع الذي أعده لها؟ لا بد أن جاكس هو الذي أنهى ذلك الزواج. لابد أنه أدرك أن تلك المرأة التي كان ينوي الزواج بها لا تناسبه.

- سيدتي؟

- نعم..

وابتسمت ماغي،وهي امرأة جذابة، حتى من دون أثر للزينة على وجهها.

- قال جاكس إنك تريدين ان ترتاحي.

وأشارت ماغي إلى السلم مضيفة: «من هنا مباشرة».

صعدت كيم السلم وهي تتساءل كيف سيكون أمرها إذا ما تولّت مسؤولية كبير، مميّز بالرفاهية.

- ماغي، نحن بحاجة لأن نكون معاً بأسرع وقت لكي

تزوديني بمعلومات عن وجبات الطعام والجداول. أنا واثقة من أن جاكس أخبرك أنني سأكون المضيفة الرسمية وأهتم بالزوجات.

- نعم يا سيدتي.

- أرجوك أن تناديني باسمي كيم.

- شكراً لك.

وعلى قمة السلم، توقفت ماغي وواجهت كيم: «سيقدم العشاء في الساعة السابعة، أو ربما في وقت آخر هذا المساء حسب رغبتك».

- أظن أن الساعة السابعة مناسبة، هذا إذا لم يكن هذا يناقض رغبة جاكس، أنا لست واثقة مما يمكن...

- لكنه رحل.

لم تفهم في البداية ما قالته ماغي، وعندما فهمت شعرت وكأنها تلقت صفعة. أغمضت عينيها وتنفست بعمق ثم سألت: «رحل؟».

- نعم أعتقد أنه عاد الى المدينة. تحدّث عن أمر مستعجل..

مستعجل في الدقائق الثلاث الأخيرة؟ وأدركت كيم أنه لسانها الذي تعوزه اللباقة، هذا هو السبب، لقد فتحت جرحاً .....كم تشمئز من نفسها.

وفجأة خطرت في بالها فكرة رهيبة.. هل يعقل أن يكون سبب إسراع جاكس في العودة إلى شيكاغو أقل ضرورة مما بدا؟

عندما كانت ماغي تريها غرفتها، تمثلت لها صورة جاكس مع ترايسي فأعمتها الغيرة. وعندما خرجت ماغي أغلقت كيم باب

غرفتها واستندت إليه وهي تلهث. كان التنفس يؤلمها تقريباً بقدر ما يؤلمها التفكير في جاكس و.... إنه يؤلمها.

* * *

استيقظ جاكس مجفلاً وهو يرتجف، مدركاً أن الظلام قد حلّ. يبدو أن مفعول السباحة في الكهف الخفي أقوى من الاستلقاء في الفراش،إذ خرج من الماء مرهقاً واستلقى على العشب الرطب تحت أشعة الشمس لينتهي بالاستسلام لنوم عميق.

لكن الظلام قد انتشر الآن، وأصبح الهواء بارداً للغاية. كان معتاداً على السباحة في مياه هذه البحيرة الهادئة الآمنة والخاصة الباردة . هذا الخليج الذي يواريه عن البيت غابة كثيفة. وكان لا أحد غيره يعرف هذه البقعة وهو يجد سكينته النفسية هنا إذ يمكنه أن يفكر ويسبح بعيداً عن توتر العمل. هنا يمكنه أن يرهق نفسه بالسباحة ثم يستغرق في نوم عميق خالٍ حتى من الأحلام.

سؤال كيم حول تلك التي كادت تكون عروسه هزّه، وذكره بذلك الفصل الصعب من حياته. جلس القرفصاء واضعاً ذراعيه حول ركبتيه. مرّ زمن طويل لم يفكر فيه في ماريلين، فقد كره ما فعله بها إذ قال لها إن شبهها بكيم مجرد مصادفة. لكن، في ليلة عرسهما أدرك أن هذه المحاولة ستفشل، وأن إكمال الطريق في هذا الزواج القائم على الكذب سيكون مشؤوماً. أخبر ماريلين الحقيقة، لكنه أخبرها أيضاً أنه مادام قد طلب يدها للزواج وقبلت هي فالخيار لها. وهو سيلتزم بتعهداته الزوجية إذا كان هذا ما تريده... بعد أن عرفت الحقيقة.

لقد فسخت الخطوبة طبعاً فماريلين امرأة ذكية ولطيفة للغاية لا

تريد أن تعيش مع رجل لا يكنّ لها ذلك الحب العميق الأبدي الذي تستحقه. لقد آلمها لكنها اتصلت به السنة الماضية لتخبره أنها سامحته وأنها سوف تتزوج، وهي سعيدة جداً.

ولكن تلك التي كادت أن تكون عروسه علمته درساً قاسياً وهو أن البحث عن بديل من كيم خطأ. عليه أن يخرج كيم من حياته وهذا هو هدفه الآن. وتمتم بألم ويأس أنه سيتخلص منها بعد أسبوع آخر .. بعد أسبوع فقط. كان يعلم أن إخراجها من حياته لن يكون سهلاً لكن عندما يخبرها أنه يريدها أن تخرج من حياته، ستصبح لديه فرصة للشفاء.

ارتجف، شاعراً بأنه أحمق لأنه يجلس في الغابة المظلمة عارياً فوقف واتجه إلى سيارته، ثم توقف والتفت. ومن دون أن يعرف السبب، سار بين الأشجار إلى أن استطاع أن يرى بيته عالياً فوق التلة. نظر إلى ساعته. كانت قد تجاوزت العاشرة. كم ساعة نام؟

كان محظوظاً لهذا الجوّ الدافئ على غير عادة، وإلا لأصيب بالتهاب رئوي الآن.

أمضى وقتاً طويلاً يحدق في منزله.

ثم رفع بصره إلى حيث غرفة كيم، وهي بجانب غرفته. وتملكه دافع قوي لأن يركض عابراً المرعى فيتسلق النبات المتعرّش وينزلق ليدخل من نافذتها.

٨ - الورطة

ترايسي هنا! هذا ما خطر لكيم وهي تقف بعيداً، بينما استقبل جاكس زميلته فاتحاً لها الباب الأمامي الكبير لتدخل متباهية ملوحة بيدها لكيم بعدم اهتمام بينما عانقت جاكس بمودة بالغة وهي تحييه بابتسامة عريضة: «مرحباً... هل أمضيتما عطلة جيدة؟».

فأجاب: «كنا مشغولين، لكنني أظن أننا تدبرنا الأمر جيداً».

أومأت كيم مبتسمة. فقد أعادوا تنظيم بعض وجبات الطعام لتتناسب مع خطط كيم للزوجات والعشاء في الخارج وحضور المسارح. أسعد كيم أن تكتشف أن ماغي بالغة اللطف والبهجة عند العمل معها... وهذا أكثر مما يمكنها أن تقوله حالياً عن جاكس.

كان موجوداً ليجيب عن أسئلتها، ويصغي إلى اقتراحاتها، ويدخل تعديلات على البرنامج ليتناسب مع خططها، لكنه لم يكن موجوداً لأجلها عاطفياً. كلما أرادت أن تكون بجانبه لتستمتع بصحبته، وجد ما يشغله.

قالت ترايسي وهي تمسك بيده: «جاكس، أنا بحاجة للتحدّث إليك».

ونظرت إلى كيم بابتسامة متكلفة قبل أن تضيف: «وعلى

انفراد».

وغمزتها خفية قائلة: «مجرد عمل».

فقالت كيم بلهجة عرجاء وهي تشير إلى اللوح بين يديها: «وأنا أيضاً.. لدي.. عمل..».

فقالت ترايسي وهي تسير في أثر جاكس: «حبيبتي كيم... اطلبي من ماغي أن تطعم السائق، إذ أبقيته معي طوال النهار».

قالت من خلفهما وهما يصعدان السلم إلى غرف النوم: «بالتأكيد».

أرادت كيم أن تصرخ: لِمَ تتحدثين عن العمل مع جاكس في غرفة النوم بينما لديه مكتب هنا؟ لكنها لم تكن من السذاجة بحيث تطرح مثل هذا السؤال.

ودخل سائق يحمل حقيبتين وضعهما على الأرض ثم ألقى عليها نظرة يستفهم بها عن وجهته، فأجابت: «لا أدري إلى أين عليك أن تأخذهما».

فقالت ماغي التي قدمت من ناحية المطبخ: «أنا سأسوي الأمر».

- كما أن ترايسي طلبت أن تقدمي طعاماً للرجل.

ابتسمت ماغي: «لابأس! أنا وموسي صديقان قديمان».

حمل موسي الحقيبتين وتبع ماغي إلى الطابق الأعلى. وافترضت كيم أنهما أذكى من أن يقطعا على جاكس وترايسي خلوتهما وأن لدى ترايسي غرفتها الخاصة لأجل هذه المناسبة نظراً لتحفظ ضيوفهم الذين سيصلون خلال أربع وعشرين ساعة. وهكذا ركزت كيم على العمل الذي بين يديها والذي عليها أن

تضع اللمسات الأخيرة عليه، مهما كان ما يدور في الطابق الأعلى.

* * *

سمح جاكس لترايسي بأن تجره إلى غرفة نومه، وعندما اغلق الباب نزع يده من يدها: «لا بأس يا ترايسي! ما الذي يحدث؟».

كان صبره قد فرغ، إذ قاوم طوال الأسبوع رغبته في كيم، ولم يبق من صبره سوى القليل: «لماذا جئنا الى غرفة نومي؟».

ألقت بنفسها على سريره وتمددت كقطة مدللة ثم ضحكت له وهي تتأمل غرفته الفسيحة ذات الطابع العصري: «إنها حسنة، أليست فسيحة أكثر من اللازم بالنسبة إلى رجل واحد؟».

نظر إليها بارتياب متصاعد: «إنها صغيرة للغاية بالنسبة إلى أكثر من رجل».

شبكت يديها على صدرها وقد بدا عليها المكر، فأشار إليها قائلاً: «نظرتك هذه لا تعجبني».

- اصغ إلى ما سأقول يا جاكس.

فحدق فيها: «إذا كان الحديث عن كيم، فانسي ذلك».

- اسمع، لا تكن عنيداً.

- أنا لست عنيداً، إذا كان هناك شخص عنيد فهو أنت..

- اسمع، أنت تعبت من استغلال كيم لك ولجوئها إليك لتتخلص من مآزقها ومن ثم تتركك من أجل رجل آخر، أليس كذلك؟

صرف بأسنانه، وحدق فيها بعنف، وأخيراً أومأ مقراً على كره منه:

- حسناً، سأخبر أولئك اليابانيين أنها خطيبتك. إذا فاجأتها بذلك أمامهم لا يمكنها أن تعارض خوفاً من أن تهدم..

- هل فقدت عقلك السخيف؟

وأزاح يديها عن ذراعيه: «لن أفاجئ كيم بأي شيء كهذا».

وابتعد عنها نحو باب الشرفة وأخذ يحدق في البحيرة، وهو يتابع: «وما الهدف من ذلك؟».

-أخشى أن يشعر ضيوفنا اليابانيون بالإهانة، إذا ظنوا أننا استأجرناها للعناية بزوجاتهم..

- هذا سخيف.

- لكن الأمر الأهم هو أنكما ستتشاركان هذه الغرفة الفسيحة.

لم يفهم كلامها في البداية، ثم حملق فيها: «ماذا؟».

- فكر في متعة ذلك. يمكنك أن تشاركها الفراش كما لطالما تمنيت... استغلها أنت هذه المرة! اعتبر أنها مدينة لك.

لم يصدق ما سمع، ومرّ بيده على شعره وقد تملكه الإحباط والغضب: «أنت مجنونة ياترايسي.لقد تجاوزت الحد هذه المرة. اقتراحك هذا حماقة كبرى».

- كلا.كلا. يمكنني أن أقرأ نفسية النساء ياجاكس. أقسم أنني أشعر بذبذبات الغيرة تصدر عنها مني أنا.أظن أنها تكنّ لك شعوراً ما، لكنها خائفة من إظهار ذلك.

أصغى إليها جاكس بقلب مثقل،بينما غضبه يتزايد وعادت ترايسي تقول: «ضعها في سريرك. وعندما ينتهي الأسبوع ارفسها بقدمك نحو الرصيف وانتهي منها».

بقيت ممسكة بيده،والتوقع على ملامحها وكأنها تعتقد حقاً أنه

www.elromancia.com

سيرحّب فجأة بهذه الفكرة النيرة، لكنه سحب يده من يدها وابتعد عنها وهو يقول بصوت خافت: «ترايسي اذهبي وأخرجي أمتعتك من حقيبتك».

- ماذا تقول ياجاكس؟

- أرى أن تذهبي وتخرجي أمتعتك من حقائبك قبل أن يثور طبعي فأفقد أعصابي وألقي بك من هذه النافذة.

وأدار لها ظهره يشير بذلك إلى أن الحديث انتهى. وبعد لحظة، أخذت تربت على كتفه وهي تقول بنعومة: «لا بأس. أشعر بأنك ستفكر في هذا الاقتراح، فلِمَ لا أذهب أنا وأفرغ أمتعتي».

فزمجر قائلاً: «اذهبي إلى جهنم».

أصغى إلى خطواتها تبتعد، ثم إلى صوت الباب وهو يُفتح ويُغلق. وبعد لحظة التفت ليتأكد من ذهابها ثم أمعن النظر في أنحاء الغرفة متململاً. لم يكن اقتراحها أحمق وحسب، بل قاسياً أيضاً. استغلال كيم كمضيفة لأمر لابأس به إنما استغلالها كامرأة ثم الإلقاء بها خارجاً وكأنها قمامة، فكرة أكثر قسوة من أن يفكر فيها إنسان.

وفتح الباب المؤدي إلى الشرفة فاندفع النسيم إلى غرفته من الغابات. أخذ ينظر إلى البحيرة في الأسفل، ثم إلى المناظر الطبيعية الممتدة أمامه، ثم عاد يحدق في البحيرة الهادئة التي اشتعل سطحها في الشمس الغاربة، ثم همس: «كيم.. لا تمنحيني أيّ أمل وإلا سأتعلق به».

* * *

علمت كيم أن سيارة الشركة الليموزين قد عادت من المطار

ودخلت إلى الأملاك وسمعت تمتمات المستخدمين الإضافيين الحماسية. بللت شفتيها ورتبت شعرها وسوت ياقة الطقم الحريري الأخضر الذي ترتديه.

كانت جاهزة تماماً لاستقبال الضيوف.

وسمعت قرعاً على بابها فسألت: «نعم؟».

نادت ماغي: «وقفت السيارة أمام الباب الأمامي، وأنت قلت إنك تريدين استقبالهم عند الباب».

- طبعاً شكراً لك.

ووضعت الهدايا في سلة مزخرفة، ثم أسرعت إلى خارج الغرفة وهي تبتسم لماغي.

عند قمة السلم، ذكرت نفسها بأن تكون هادئة وقورة. تنفست بعمق ثم أخذت تهبط السلم وهي تفكر: كوني ملكة... وقورة كملكة.

عندما وصلت إلى أسفل السلم، رأت جاكس وترايسي يصعدان الدرجات مع ضيوفهما. ألقت عليهم نظرة سريعة فرأت أن الرجال يرتدون بذلات سوداء، والنساء أثواباً سوداء. بدا الكل ما بين أواخر الأربعينيات وأوائل الستينات وقد ظهر التحفظ عليهم جميعاً.

عندما دخل الجميع، أشارت إليهم ترايسي بالدخول إلى القاعة الكبرى. كانت الخطة تقضي بأن تقدم لهم كيم الهدايا بعد أن يتم التعارف. ولاحظت أن جاكس استأذن بعد أن حاولت ماغي لفت انتباهه. وأملت ألّا يكون الأمر خطيراً، وجمدت ابتسامتها على شفتيها وتمالكت نفسها لكنها أجفلت وهي ترى يد ترايسي على

ذراعها. وسألتها: «هل من خطب ما؟».

- ماذا؟ أنت تعنين جاكس؟ إنه مجرد اتصال هاتفي من زبون مدلل.

وتابعت هامسة بشكل متآمر: «اسمعي يا كيم هذه تضحية ضخمة، ولكن نظراً لتقاليد ضيوفنا...».

وسكتت فجأة ثم هزت رأسها: «لا وقت للشرح. تابعي فقط ما أقوله فهو حيوي لنجاحنا».

وعادت تضغط بقوة على ذراع كيم ثم تركتها لتتوجه إلى المجموعة. أخذت كيم تحدق في أثرها بحيرة. ماهي تلك التضحية الضخمة التي تحدثت ترايسي عنها؟ ومن تكون هي لكي (تتابع فقط ما تقوله) لأنه (حيوي) بالنسبة إلى نجاحهم.

- نحن مسرورون للغاية لتشريفكم لنا.

سكت الضيوف ليصغوا إليها باهتمام. فيما تحضّرت كيم لإلقاء كلمتها مقررة استيضاح مما قالته ترايسي لاحقاً. أما الآن فعليها أن تتذكر الأسماء وتقدم الهدايا لكنها تجاوزت كل هذا عندما تابعت ترايسي كلامها: «يسرنا أنا وجاكس أن نقدم لكم مضيفتنا الفاتنة».

ورفعت ترايسي ذراعها باتجاه كيم، وهي تتابع: «كيمبرلي جيريون. عروس جاكس».

واقتربت من كيم وأمسكت بيدها ثم قادتها إلى الأمام: «جاكس وكيمبرلي يسرهما استضافتكما في منزلهما الجميل».

وابتسمت ترايسي لكيم التي تملكها دوار غير مصدقة ما سمعت. إن ترايسي تقول ما معناه أنها، هي كيم، متزوجة من

جاكس لكن هذا غير ممكن. لِمَ تقول ترايسي مثل هذا الكلام الجنوني خصوصاً أنها وجاكس عاشقان؟ هل هذه هي التضحية الكبرى التي ذكرتها ترايسي؟ هل هذا ما اعتبرته حيوياً لنجاحهما؟ لماذا؟ ما أهمية ابتكار مثل هذه الحيلة الحمقاء خصوصاً من دون إشراكها هي في التخطيط؟

بحثت بعينيها عن جاكس لكنه لم يكن قد عاد بعد، فصرفت بأسنانها من خلف ابتسامتها المهذبة.

- حسناً يا كمبرلي، أليس لديك ما تقدمينه لضيوفنا؟

نبه سؤال ترايسي كيم وأبعدها عن مشاعرها العنيفة. عليّ أن ألقي كلمتي.. وأن أذكر أسماءهم. لكن ذهنها كان قد خلا من كل شيء. كل ما استطاعت أن تفكر فيه هو أنها أصبحت لتوها عروساً لجاكس أمام عشرة مواطنين يابانيين ارتسمت على وجوههم إبتسامات التهنئة. يبدو أن مؤسسة الزواج لها احترام بالغ في اليابان.

حاولت أن تبتسم بشجاعة وهي تبحث في ذهنها عن الكلمة التي سبق وأعدتها، إذ حان الوقت الآن لإلقائها سواء أكان هناك زواج زائف أم لم يكن. وعندما أنهت ذلك، شعرت وكأنها أمضت دهراً على المسرح.

لمحت ماغي تقف عند المدخل فتذكرت مهمتها التالية، وقدمت ماغي إلى الضيوف معلنة بأن مديرة المنزل سترافقهم إلى غرفهم ليرتاحوا قبل أن يحين موعد تناول الشاي في الرابعة بعد الظهر.

أشارت ماغي نحو السلم فيما نظرت كيم حولها لترى ترايسي

تتجه نحو المطبخ، وأسرعت خلفها تريد أجوبة. في المطبخ وجدت ترايسي وجاكس بمفردهما، وكان جاكس يحمل هاتفه الخلوي وقد بدا عليه الغضب الشديد. اندفعت كيم نحوهما أشبه بدبابة حربية مهاجمة وهي تسأل: «ما الذي يجري هنا بالضبط؟».

رفعت ترايسي يدها توقفها: «انتظري لحظة».

ثم التفتت إلى جاكس وسألت: «هل تتذكر حديثنا أمس؟».

بدت عليه الحيرة: «أي حديث؟».

- ذلك الحديث عن أن ضيوفنا سيشعرون بالإهانة إذا ما عرفوا أننا استأجرنا أمرأة لتدلل نساءهم، وتحدثنا عن أن من الأفضل أن يظنوا أن كمبرلي هي مضيفة حقيقية.... خطيبتك مثلاً.. أو ما شابه؟

ازداد تقطيبه: «نعم أتذكر ذلك، لماذا؟».

تقدمت كمبرلي نحوه تواجهه:

- حسناً يبدو أننا متزوجان، وأننا مسروران لزيارتهم لنا في بيتنا!

وأشارت إلى ترايسي مضيفة: «وقد أذاعت هذا أمام الجميع الآن. لِمَ فعلت هذا يا جاكس؟».

واندفعت نحوه فتراجع خطوة وهو ينظر إلى ترايسي بعينين ضيقتين: «ما الذي فعلته؟».

- أظنني المذنبة الوحيدة، أنت محق في ذلك.

- ربما عليَ أن أشنقك لذلك..

وتحول غضب كيم إلى حيرة وانفعال وسألته: «أتعني أنك لم توافقها على ذلك؟».

- كلا بالطبع..

مس الألم البادي في لهجته قلبها فيما قالت ترايسي ببشاشة غير عادية: «لا يمكنك أن تخبرهم أنني كذبت عليهم، وإلا سيظنون أن أحدنا مجنون.. وبالتالي سيتبخر أي حظ لنا في الحصول على عمل معهم».

فزمجر يقول: «أحدنا مجنون فعلاً».

ضحكت، وضربت جاكس على ذراعه: «أنا شخصياً أراها ضربة ذكية. سيشعر أصدقاؤنا اليابانيون بمزيد من الارتياح إذا ظنوا أن هذا بيت عائلي يسكنه زوجان سعيدان».

فكرت كيم باضطراب في أنها تحب جاكس لكنها لا تريد الزواج بالشكل الذي عرفته، حيث يستحيل الحب إلى كراهية، والخصام يحطم القلوب... عقود وعهود ثم فراق، حتى الزواج الكاذب يزعجها.

وأمسكت بذراع جاكس: «لا أظنك تصدق حقاً أن من المهين لهم أن يعلموا أنني أعمل كمضيفة؟».

- كلا، على الإطلاق. لكن ترايسي على صواب بالنسبة إلى أمر واحد وهو أنهم لن يستمروا في التعامل معنا إذا ما عرفوا أنها كذبت عليهم.

ونظر إلى ترايسي محملقاً: «لقد وضعتنا في موقف حرج للغاية ياترايسي».

- أبداً! إن غرفتك فسيحة ما يمكّنكما من أن تتشاركاها من دون أن تلمسا بعضكما بعضاً.

وتنحنحت ثم ربتت على كتفه: «أعني، مادمتما صديقين

فقط...».

ونظرت إلى كيم والتسلية على وجهها: «أليس هذا صحيحاً أنكما مجرد صديقين؟».

نظرت كيم إلى يديها: «نعم.. هذا صحيح».

- أووووه يا جاكس، لم ألاحظ من قبل هذا الوريد الكبير الذي يخفق بعنف في عنقك. سأذهب لأخبر ماغي بأن تنقل حاجيات كيم.

فهتفت كيم برعب: «كلا أرجوك يا ترايسي».

- يا للفتاة الحمقاء! أنتما متزوجان والأزواج لا ينامون في غرف منفصلة. فكري يافتاة. فكري.

وضحكت ثم أشارت إلى يد كيم اليسرى: «بالمناسبة هذا الخاتم الذي تلبسينه لا يشبه خاتم الزواج، وعلى جاكس أن يعالج هذه المسألة».

واستدارت مبتعدة، مصممة على القيام بهذه المهزلة. شعرت كيم بالضعف، ونظرت إلى خاتمها الذي اشترته في مزاد علني ثم ضغطت على شفتيها المرتجفتين. كانت خائفة مما قد تفعله إذا أصبحت مع جاكس في غرفة نوم واحدة. أن تحلم به شيء وأن تعيش الواقع أمر آخر. وتملكها القلق واختلطت مشاعرها وأخذت تغالب دموعها وهي تشعر بأنه كلما حدّق فيها أكثر، كلما ازداد شعورها بالتشوش.

أرغمت نفسها على النظر بعيداً. لكنها ما لبثت أن نظرت إليه مجدداً. بدا شديد التعاسة فهفا قلبها إليه. مسكين جاكس! كان منزعجاً من الحماقة التي ارتكبتها ترايسي. لم تستطع كيم أن تفهم

الحافز الذي دفع ترايسي إلى ابتكار قصة الزواج هذه، وشعرت بالعطف عليه فسارت ووضعت يدها على يده: «أنا آسفة لما حصل. أعلم أن الذنب ليس ذنبك».

وضغطت على أصابعه بعطف مضيفة: «وأنا لا ألومك».

نظر إليها فأذهلها الحزن الذي بدا في عينيه وهو يقول: «أنا آسف! لم يسبق أن شعرت بالأسف كما أشعر به الآن».

وحوّل عينيه عنها، لكنها لم تستطع أن تبعد نظراتها عن وجهه الوسيم. كم هو حزين وكم تحبه! وتملكها شعور بالضعف ورعشة باردة لكنها رأت أن طمأنة جاكس أهم من عدم ثقتها بنفسها وألمها. وتابعت تقول: «لا تحزن يا جاكس».

وطوّقت ظهره بذراعيها، واضعة خدها عليه وأردفت محاولة منع صوتها من الارتجاف: «يمكننا أن نقوم بهذا».

وتمنت لو أنها لا تكذب على نفسها.

٩ - تأنيب وتعذيب

- أظن أن هذا النهار مر على مايرام.

شعرت كيم بسخرية مؤلمة وهي تقول هذا لجاكس في غرفة نومه. نظرت بعيداً وقد تملكها التوتر وأخذت تتأمل التلفزيون الموضوع فوق المدفأة وتابعت: «هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار..».

ولم تستطع أن تحمل نفسها على أن تقول: «أننا نتشارك غرفة واحدة..».

فأنهت بضعف: «وضعنا هذا..».

وعندما لم يتكلم، لم تستطع أن تمنع نفسها من النظر إليه مرة أخرى. كان واقفاً أمام الباب الزجاجي مديراً ظهره لها وكأنه لا يريد أن يقر بأنها هنا.

قالت ملاطفة، شاعرة بالارتباك، كارهة نفسها لهذا الشعور: «جاكس؟».

كان جاكس أفضل صديق لديها في العالم ومجرد ذكر كلمة زواج بدأ يهدم صداقتهما هذه. قاومت هذه الفكرة فهذا الزواج ليس حقيقياً على أيّ حال.

أسرعت إليه وأمسكت بيده محاولة أن تطمئنه كما تطمئن نفسها: «جاكس، لا تتكدر بهذا الشكل. لم يتغير شيء صدقني.

نحن مازلنا صديقين حميمين، وهذا الزواج الزائف لن يغير ذلك».

وتابعت حديثها، محاولة أن تظهر له النواحي الإيجابية: «أنا أكاد لا أتحرك في الليل، لذا لن تشعر أبداً بوجودي».

ظنت أنها سمعته يتأوه، أم أنها الريح التي تنوح؟ ونظرت إلى ساعتها في ضوء القمر: «الساعة الحادية عشرة يا جاكس. يجب أن تفكر في الخلود إلى النوم. قلت أنت وترايسي إنكما تريدان أن تبدآ العمل قبل الثامنة، وهذا يعني أنّ الفطور في السابعة».

تحرك بخفة أو على الأقل تحرك رأسه إذ رفعه لينظر إليها. ومن دون أن ينطق بكلمة، نظر بعيداً مسمراً نظراته على السماء المظلمة والقمر المتألق. كان متكدراً للغاية.

قاومت شعورها بالمرارة للكدر البالغ الذي يبدو عليه، وقالت غير قادرة على تجاهل كرامتها المجروحة: «اسمع يا جاكس هذه ليست نهاية العالم. نحن راشدان، ويمكننا التصرف كالراشدين. قد لا أكون رفيقة الفراش التي تختار، لكن الظروف فرضت عليك ذلك. واجه الأمر وأنجز المهمة، مم تخاف؟».

وصمتت لحظة ثم أضافت: «من أن أهاجمك؟».

تحرك لينظر إليها مرة أخرى، وأدهشها أن تسمع قهقهة فارغة ساخرة...! كئيبة بعدئذ، التوت شفتاه لحظة قبل أن يعود الجدّ إلى ملامحه ويقول: «تباً يا كمبرلي، ادخلي وحسب إلى السرير واخرسي».

شهقت وقد فاجأها عنفه هذا واغرورقت عيناها بالدموع. تركت يده كارهة ثم صعدت إلى سريره بصمت لتزحف تحت

الأغطية مديرة ظهرها له.

حاولت أن تركز أفكارها على برنامج نشاطاتها لكنها فشلت، وعادت الدموع التي كانت تهدد بالانهمار من قبل، فتركتها تسيل على خديها لتبلل وسادتها الوثيرة المصنوعة من القطن المصري، وهمست: «جاكس! ألم تعد تكن لي أي مودة؟».

وكان الجواب عن سؤالها هذا كلمة خشنة تأمرها بالصمت، فشعرت باختناق لم تستطع معه التنفس، بينما صرخ هو في أعماقه: لم أعد أكن لك أي مودة؟؟ ألم أعد أتنفس؟هذا مستحيل، فأنا أحبك يا كيم، ألا ترين ذلك في كل نظرة معذبة مني؟ في الطريقة التي أتمالك فيها نفسي فأبدو متوتراً متحفظاً كلما عانقتني أو أمسكت بيدي؟ هذا لا يعني أنني لا أكن لك مودّة يا حبيبتي بل أنني أريدك أكثر من الحياة نفسها..

وأغمض عينيه وصرف بأسنانه مقاوماً دافعاً يدفعه إلى أخذها بين ذراعيه متوسلاً إليها أن تمنحه حبها. لم يستطع أن يرد على تساؤلها الهامس إذ لم يعد يثق بصوته. ولعن نفسه لأنه صرخ بها بتلك الطريقة! إنها تحاول أن تجعله يشعر بالراحة في ظل وضع مستحيل لم يكن ذنبها أكثر مما هو ذنبه.

حدق في البحيرة التي ينيرها القمر، لكن كل ما رآه هو كيم التي وقفت بجانبه، ممسكة بيده، تجاهد لتكون صديقته. هاتان العينان الكبيرتان الجميلتان للغاية اللتان تبدوان أشبه ببحيرتين تفيضان حناناً... وعبس وهو يشعر بوخزة من الرغبة تسري في كيانه.

أحاطت به رائحة عطرها، مغيظة، مغرية. ليس لديها فكرة

عما فعلته به وهي تدخل الغرفة ببساطة. لا فكرة لديها عن تمزق روحه لفكرة مشاركتها فراشه. لقد خاف من نفسه،خاف مما يمكن أن يفعله حتى من دون وعي منه، ظاناً مرة أخرى أنها جزء من تخيلاته. لعله سيمد يديه ويأخذها بين ذراعيه ويضمها إلى حلمه. وأجفل لذلك الشعور الذي تفجر في صدره، وحدث نفسه بأن هذا جنون. لا يمكن لرجل أن....

لا يمكن لرجل عاقل أن يهاجم امرأة من دون وعي منه.

طرد من ذهنه مثل هذه الأفكار الحقيرة وأكد لنفسه أنه يستطيع أن يشارك كمبرلي سريره، يمكنه ذلك من دون أن يلمسها. إنه رجل ناضج وقادر على السيطرة على نفسه. وابتعد عن النافذة وسار الى الحمام ليستحم ويغير ملابسه.

بعد أن جفف جسمه، لف نفسه بمنشفة بيضاء، لاعناً عدم تبصره إذ لم يدخل معه ملابسه. وأخذ يبحث في الظلمة عن ثياب مناسبة ليجد أخيراً، بعد أن كاد اليأس والإحباط يتملكانه، سروالاً فضفاضاً.

وبعد لحظات تسلل إلى السرير وقد حرص على أن يدير ظهره للمرأة التي يحب.. التي هي قريبة لكنها بعيدة عنه بشكل مأساوي. وتساءل عما إذا كانت نائمة حقاً أم أنها تتظاهر بذلك كما سيفعل هو في الساعات الست الطويلة التالية.

* * *

مر اليوم الأول من الاجتماعات بسلام وتملك كيم السرور لاستمتاع ضيوفها بزيارتهم لأحواض الأسماك والنباتات المائية المسقوفة والتي تعتبر أكبر الأحواض في العالم.

كان غداؤهن العفوي المؤلف من بيتزا وهمبرغر وما تبعه من قهوة مع كعك الشوكولا والبندق رائعاً وقد استمتعت بالأحاديث العامة المتنوعة التي دارت بينهن.

تحدثن عن الأسرة والأولاد والأحفاد باعتزاز وعطف بالغين، فكرهت كيم الكذبة التي أُرغمت على عيشها وآلمتها الأسئلة التي وُجهت إليها. ورغم أن هذا الزواج تمثيلية إلا أن وجهها احمرّ وهي تجيب عن سؤالهن عن الأولاد: «أريد الكثير منهم كما أرجو».

بعد الغداء احتشدن في سيارة الليموزين ليأخذهن موسي إلى البيت ليرتحن ثم يرتدين ملابسهن استعداداً للمساء.

وتركت كيم النسوة بين خيارين إما أن يسترحن في غرفهن أو يستمتعن بالسباحة في مياه البركة الساخنة قبل أن يحين وقت ارتداء ملابسهن للعشاء. أما هي، فاختارت العزلة في غرفة جاكس، لتستيقظ منزعجة من غفوتها على صوت إغلاق الباب. فركت عينيها ثم رفعت نفسها على مرفقها لترى جاكس واقفاً عند الباب. تثاءبت وهي تغطي فمها، ثم ابتسمت له محاولة أن تخفف من التوتر الذي تشعر به كلما دخل إلى الغرفة.

- مرحبا أظنني غفوت.

ونظرت إلى ساعتها مضيفة: «من الأفضل أن أغير ملابسي. سنخرج لتناول العشاء بعد نصف ساعة».

وقف من دون حراك أو ابتسام. لم تنم جيداً الليلة الماضية، وهكذا عندما قررت أن تستلقي لبضع دقائق، استغرقت في نوم عميق على الفور. وضعت يدها على وجهها: «أنا لم أضع زينتي

بعد».

وتضايقت من نفسها ونزلت من السرير: «سأحضر زينتي فقط ثم أخرج من الحمام لكي تستحم. يمكنني أن أضع زينتي خارجاً. لن أقف في طريقك».

قطب حاجبيه. لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تلاحظ خصلة الشعر الحبيبة تلك تتدلّى على جبينه. قال بهدوء: «أنت لا تقفين في طريقي».

لم تصدقه لكنها تمنت أن يكون هذا صحيحاً: «سأحضر أغراضي ثم أبتعد عن طريقك».

فكرر قوله: «أنت لا تقفين في طريقي».

اندفعت إلى الحمام حيث جمعت أدوات زينتها وخرجت فكادت تصطدم بجاكس. عندئذ قالت مازحة: «ها أنت ذا ترى أنني في طريقك».

فتمتم بشيء ما ودخل الحمام. وعندما أنهى استحمامه كانت هي قد أنهت زينة وجهها فالتفتت إليه لتقول باسمة إنه توقيت مناسب تماماً، وإذا بالكلمات تتجمد على شفتيها. كان واقفاً لا يرتدي سوى منشفة. تلاقت عيناه بعينيها وهز كتفيه قائلاً: «نسيت أن أدخل معي ثياباً».

وعندما اتجه إلى الخزانة، حملقت فيه. كانت تعلم أن عليها أن تنهض عن الكرسي وتتوجّه إلى الحمام لكي تلبس ثوبها لكن ساقيها لم تطيعاها... آه... إنه رائع!

وعندما لم تتحرك سألها: «هل سترتدين ثيابك؟».

- بالتأكيد.

وانتصبت على ساقيها بينما ابتعد هو، لكن هذا لم يمنعها من متابعة النظر إليه. ارتخت ركبتاها لكنها كانت تعلم أن أمامها عملاً عليها أن تقوم به. وتملكها الضيق من نفسها فتركت كرسيها وتوجهت الى الحمام وهي تعنف نفسها طالبة منها أن تغيِّر ملابسها وتبعد نظراتها عن هذا الرجل الوسيم. وعندما استطاعت أن ترتدي ثوبها رغم ارتجاف يديها نادت من داخل الحمام: «هل انتهيت من ارتداء ملابسك؟».

- نعم.

خرجت من الحمام وهي تنظر إلى ساعتها ثم قالت باسمة: «ما زال أمامنا عشر دقائق».

ورأته فتلاشت ابتسامتها. بدا رائعاً في بذلته السوداء وربطة عنقه الحمراء، واستطاعت أن تصل إلى السرير قبل أن تتراخى ركبتاها. وصرخ صوت في داخلها: أيتها الحمقاء أيتها الحمقاء لا تفعلي هذا بنفسك! إنه صديقك فلا تخسريه! تبعها بنظراته وهي تسير إلى السرير وتجلس عليه بعنف وسألها: «هل أنت على ما يرام؟ وجهك متوهج».

تصنعت الابتسام: «كان الحمام حاراً قليلاً».

- آسف ربما هذا من فعل البخار.

لم يكن للبخار أيّ دور في توهج وجهها، لكنه عذر جيد، وهزت كتفيها متظاهرة بالموافقة: «هذا ما أتصوره..».

ثمة سؤال يراودها منذ اخترعت ترايسي حيلة الزواج هذه وهي تريد جواباً، فسألته: «ثمة أمر لا أفهمه».

كان واقفاً امام المرآة يسوي مظهره فسألها: «وما هو؟».

حاولت أن تبدو عفوية: «إنه فقط ... حسناً لا أفهم لما أرادت ترايسي أن تجمعنا بهذا الشكل. بما أنكما.. أعني أن تقاربكما حميم للغاية بحيث...».

التفت إليها والجد في ملامحه: «ترايسي امرأة غير عادية».

ولانت ملامحه وهو يتأملها ثم قال بلطف: «تبدين جميلة للغاية هذا المساء».

ارتجفت وهي ترى مجاملته هذه وقالت:

- شكراً أنت نفسك تبدو أنيقاً.

فقال باختصار ونصف ابتسامة: «شكراً لك».

وعندها تلاشت بهجتها لمجاملته وقالت: «لكنني لا أفهم لما تلقي امرأة برجلها بين ذراعي امرأة أخرى. أعني.. حسناً أظنها تعلم أننا مجرد صديقين وبالتالي لا خطر من أن.. يكون بيننا.....».

- أتعنين أن يكون بيننا علاقة؟

التهبت وجنتاها: «أنا..... نعم... ذلك...».

لوى شفتيه مفكراً، ثم هز رأسه: «لا أحد يعرف ما يدور في رأسها. ظنت أنها فكرة جيدة، وبما أنها من النوع غير العادي من النساء أكملت مخططها».

وسار نحو كيم، فأخذ قلبها يخفق مع كل خطوة منه: «ترايسي سيدة أعمال ممتازة ولا يمكنني الاستغناء عنها. بإمكانها أن تقرأ ما يدور في خلد الناس بشكل أفضل من أي شخص أعرف».

وعندما اقترب منها مدّ لها يده مضيفاً: «وحده الزمن سيخبرنا

ما إذا كانت على حق بالنسبة إلينا».

لم يدهش كيم المديح الذي كاله لشريكته وعشيقته لكن تعليقه الأخير حيرها.

- بالنسبة إلينا؟ أتعني عن أننا مجرد صديقين؟

وأمسكت يده الممدودة فجذبها لتقف على قدميها بينما كرر هو قولها بصوت يقرب من الهمس:

- عن أننا مجرد صديقين.

- إنها طبعاً على صواب بالنسبة لهذا. نحن لا نحتاج إلى مزيد من الوقت لنعلم هذا، ألا توافقني الرأي؟

بدا وكأنه لم يصغ إليها إذ قال وهو يقدم لها ذراعه: «حان وقت ذهابنا.. أليس كذلك يا حبيبتي؟».

لم يبتسم أو حتى ينظر إليها فأدركت أن هذا من باب التهذيب وردّت: «طبعاً يا حبيبي».

وعلى الرغم من أنه لم يكن ينظر إليها، ابتسمت له، راجية ألّا يكونا يمثّلان.

١٠ - خطأ!

- يا لها من كارثة!

وأغلق جاكس باب غرفة نومه ليفصل بينه وبين زوجته الزائفة وبقية العالم. وأجفلت كيم، وردت عليه بحدة: «ليس عليك أن تحملق في بهذا الشكل وكأنني كنت أعلم ذلك».

- يا للسماوات، يا كيم! مسرح تجريبي؟ هل أنت مجنونة؟

- لكن نقاده كانوا بالغي الحماسة والإعجاب.

- هل قرأت النقد حقاً أم أن اهتمامك انحصر بالممثلين فقط؟

- قرأت.. أجزاء منه كما أنّ بائعة التذاكر نصحتني به بحماسة بالغة.

- أراهن على أن شعرها أخضر.

- الاسم (ليلى العاشقة) يوحي بالهدوء والرومانسية.. وأنها قصة غرامية..

- بعثت تلك المسرحية الملل في نفس الكل، لقد سمعت السيدة «يوشيا» تشخر.

- ليس عليك أن تصرخ بهذا الشكل.

- أنا لا أصرخ.

- بل أنت تصرخ!.

لم تستطع أن تمتنع عن الدفاع عن نفسها رغم أنّ الرعب

www.elromancia.com

تملكها لاختيارها هذه المسرحية الفاضحة المخزية. لكن الأهم هو أنها خذلت جاكس أمام ضيوفه بشكل سيء. لِمَ لا تعترف بذلك بصراحة؟ ليس لديها فكرة إنما لعلها الكبرياء، وكان كبرياؤها عيباً فيها.

- اسمع كان عملي جيداً لكن ما من أحد كامل. وهكذا اقترفت خطأ ولن تحصل على عمل مع السيد أوتاكا، وهذه ليست نهاية العالم.

وسكتت تستجمع أنفاسها وتتحكم بصوتها الذي ابتدأ يرتجف: «أعلم أنك تتوقع الكمال وأنا آسفة. إذ أردتني أن أرحل فسأرحل. لقد أوضحت تماماً أن شعورك نحوي ليس كشعوري نحوك».

فقال بصوت بدا فيه الغضب: «ماذا تعنين؟».

مسحت دمعة وردّت: «أرجوك ياجاكس. لم تظهر لي سوى البرودة منذ وصولي إلى بيتك. وأعجب لما لم... لم يؤذني ذلك الصقيع؟».

وزمّت شفتيها معاً تمنعهما من الارتجاف فيما اغرورقت عيناها بالدموع فغامت الرؤية أمامها واستدارت مبتعدة وقد سحقها الخجل. لكنها صممت على ألّا تجعله يراها تبكي.

- كنت مهذباً، لكنك أظهرت بشكل جلي أنك لا تريد رؤيتي مرة أخرى. لا تزعج نفسك بإنكار هذا.

- أنت غير عقلانية يا كيم، أنا لا أطلب الكمال وشعوري نحوك لم يتغير.

- بل تغير فأنت لا تبادلني العناق عندما أعانقك وأنت نادراً

ما تبتسم كما أنك لا تمزح معي كالعادة فأنت جاد طوال الوقت.

- إن ذهني مشغول للغاية.

فقالت بازدراء: «الطالما كان مشغولاً يا جاكس».

ما الذي تريده أن يقوله؟ لماذا تحول الأمر إلى حديث عنهما؟

قال وكأنه يقرأ أفكارها: «هذا الجدل ليس عنا بل عن هذه الليلة».

فاستدارت عائدة إليه: «لا بأس، أنا آسفة».

وعادت تقول بعد لحظة صمت: «هل أنت سعيد الآن؟ لقد اقترفت غلطة كبرى وأستحق الجلد. أنا آسفة جداً، لكنني آسفة أكثر لأنك لم تعد جاكس الذي أعرفه فجاكس القديم كان ليضحك من هذا الخطأ بدلا من أن يصبح فظاً سيء الطباع».

- لا تكوني غبية.

أجفلت لقوله هذا، وانتصبت في وقفتها: «إياك أن تجرؤ على نعتي بالغباء».

- اسمعي لدي الحق في أن أكون متكدراً فهذه غلطة إنسان مبتدىء.

جاءت صراحته الخشنة أشبه بصفعة على وجهها، فشهقت، ثم همست بخشونة تكرر كلماته: «إنسان مبتدىء؟ حسناً أنا آسفة للغاية وأنا مذهولة تماماً لأن ولي عهد إمارة إصدار الأحكام على غير البالغين مثلي كان يحتملني صابراً طوال هذه السنوات. أنت تستحق لقب القداسة يا جاكس».

فقال عابساً: «كفى يا كيم، أنا أكره السخرية».

فرفعت ذقنها بازدراء وقالت: «حسناً اقطع رأسي».!

- كفّي عن التصرّف كالأطفال ياكيم. على كل شخص أن يتقبل الانتقادات من وقت لآخر..

قالت وقد تملكها الضعف والإرهاق والإحباط: «حسنا، تقبّل مني بعض الانتقادات. أنا أكرهك يا جاكسون جيريون. لم أكره أحداً في حياتي كما أكرهك هذه اللحظة».

وركضت إلى الحمام صافقة الباب خلفها.

غطت كيم وجهها بيديها المرتجفتين وانفجرت بالبكاء. ووسط الشهقات سمعت طرقاً على الباب، وصوت جاكس يسألها بقلق: «كيم؟».

- ابتعد من هنا.

- هل أنت بخير؟

- لا تزعج نفسك بلعب دور المهتم يا جاكس. فات الأوان على ذاك ولن أتحدث إليك بعد الآن.

وانفجرت بالبكاء فساد صمت ثم سمعته يقول: «هذا حسن! إذا كان هذا ما تريدينه.. أن تكوني طفلة..».

فتحت فمها لترد عليه بعنف، لكنها عادت فأقفلته. لعلها تتصرف كطفلة فعلاً؟ لكنه جرح إحساسها وسترد له الصاع صاعين.

إذا ظنها ستتحدث إليه الآن فعليه أن يمضي الليل كله واقفاً بجانب باب الحمام منتظراً، لأنها تفضل أن تقبّل أفعى على أن تصالحه.

وسألها ذلك الصوت المزعج في داخلها: هل أنت واثقة من أنك لا تفضلين أن تقبّلي جاكس؟ فأطلقت زمجرة خافتة تسكت

بها ذلك الصوت: لا يمكنني أن أحب جاكس بتلك الطريقة. انظر إلى ما فعله بي حتى في هذا الزواج الزائف.

منعها الكدر من أن تهتم بملابسها فألقتها جانباً على الأرض ثم دخلت الحوض المليء بالمياه الدافئة. استلقت واستندت إلى الخلف ثم أغمضت عينيها محاولة نبذ أيّ أفكار من ذهنها..

رغم غضبها الشديد من جاكس، إلا أنها لم تستطع أن تتصوره شريراً. وحبست أنفاسها وغاصت تحت الماء. يبدو أن رأسها بحاجة لأن يتبلل هو أيضاً.

وبدأت المياه تبرد فارتجفت. إما أن تدع كرامتها تقتلها من البرد وإما أن تخرج من حوض الماء. لم تكن قد سمعت أيّ حركة في الغرفة منذ ما يقارب الساعة. لا بد أن جاكس نائم وهذا أمر حسن. وهكذا، وبعد أن جففت جسمها، لفت نفسها بمنشفة وخرجت من الحمام لتجلب قميصها المفضل من الخزانة. لبست القميص وحملت المنشفة بيدها لتضعها في سلة الملابس المتسخة في الحمام ثم نظفت أسنانها وجففت شعرها، عابسة في وجهها في المرآة. كم كانت فتاة سليطة اللسان هذا المساء! وعندما جفّ شعرها سرّحته وهي لا تزال تعبس في وجهها في المرآة. وفجأة، غامت صورتها فلم تدهش. كانت على وشك البكاء طيلة الوقت الذي أمضته في الماء لتتجنّب الاعتذار من جاكس، هذا الاعتذار الذي لا بد منه. لعلها تسببت بأذى يتعذر إصلاحه ولن يتمكّن هو وترايسي من إقناع رجال الأعمال أولئك باللجوء إلى خدمات شركتهما. وقالت تحدث صورتها الغائمة في المرآة: «يا لك من حمقاء معتزة بنفسك، ياكمبرلي نورمان».

مدت يدها تأخذ منديلاً ورقياً مسحت به دموعها. وعندما ألقت بالمنديل في السلة أطفأت ضوء الحمام وسارت على أطراف أصابعها إلى ناحيتها من السرير ثم انسلّت تحت الأغطية. لكنها وبعكس الليلة الماضية، لم تدر ظهرها لجاكس بل واجهته. كان ظهره إليها. استطاعت أن ترى جاكس بوضوح،مغطى إلى ما فوق خصره بملاءة فيما القسم الأعلى من جسمه مكشوف. لم يكن يلبس سترة ما جعل ظهره القوي الذي يضيئه ضوء القمر، ملكاً لها تتأمله بقدر ماتريد. وشعرت برغبة جارفة في أن تمرر أصابعها عليه فتلمس كل فقرة وتتحسسها. ماذا لو لمسته بخفة؟ هل سيوقظه هذا؟ إذا استيقظ ماذا ستقول له؟ هل تقول إنها أرادت أن تختبر شعورها؟ في الواقع، إن رغبتها في ملامسته لا تقارن بما تريده حقاً وهو عناق وتأكيد منه على أنهما مازالا صديقين حميمين، وأنه لم يكرهها لما فعلته.

رغبتها بلمسه كانت ساحقة فمدت يدها مسافة ضئيلة للغاية ثم ترددت، وسقطت دمعة حائرة من جانب عينها على الوسادة. شعرت بوحدة تعيسة وحزن غامر. ومضت تحقق ماتريد،رافضة أن تتراجع. كانت بشرته دافئة تحت أصابعها الباردة، وعندما لم تشعر بأي ردة فعل منه، ازدادت شجاعتها ووضعت راحتها بأكملها على ظهره. وابتسمت لهذه الملامسة، شاعرة بوحدتها تخفّ وبأنه صفح عنها تقريباً، رغم حماقة هذه الفكرة

وازدادت اقتراباً منه فيما انعكس ضوء القمر على خاتم الزواج في إصبعها ليشع الفص الماسي أشبه بطائر في ليلة مظلمة.

بسطت أصابعها مستمتعة بملمسه ثم همست وهي تغالب

دموعها: «جاكس أنت جزء كبير من حياتي... فلا تغضب مني..».

عشقت ملامستها له، وتساءلت عما إذا كان يمانع عندما يستيقظ في الصباح في أن يجدها بهذا القرب منه.

- أنا لست غاضباً.

قفزت كيم مجفلة لدى سماعها صوته رافعة يدها إلى صدرها: «هل... هل أيقظتك؟».

استدار لينظر إليها جاد الملامح وقد تألقت عيناه حزناً: «لم أكن نائماً».

فسألته شاعرة بالمذلة: «لِمَ لم تقل شيئاً إذن؟ أو... تبدي أي رد فعل حين لمست...».

لم تستطع أن تنهي سؤالها وبللت شفتيها وقد لفتت عيناه انتباهها إذ بدتا متسامحتين بشكل مذهل ومع ذلك كئيبتين للغاية. بدا وسيماً للغاية في ضوء القمر!

راقبها بحذر، ثم همس: «ماذا كنت تريدينني أن أفعل؟».

أقلقها هذا السؤال، فما الذي أرادته؟

وخفضت بصرها لكنها بقيت تشعر بنظراته المتسائلة. وبعد ثوان قليلة رفعت بصرها ومدت يدها تضغط على يده: «أريد أن أعتذر عن طريقة تصرفي هذه الليلة ياجاكس. يحق لك أن تتكدر، وأنا أستحق....».

فقاطعها وهو يمسك بيدها: «لا تقولي شيئاً.... أنا أنا آسف..».

اقتربت منه وأخذت تلامس ذقنه: «لا تعتذر! أنا كنت

مخطئة».

ومدت يدها إلى خصلة شعره المتمردة تلفها على إصبعها: «أنا لا أكرهك. ،وأنا آسفة لقولي هذا».

- لا تقولي هذا، فأنا أكره نفسي أحياناً..

فقالت بابتسامة مرتعشة: «حسناً، عليك ألّا تفعل هذا».

وأعادت خصلة الشعر إلى مكانها في شعره، وقالت وقد انطلق قلبها من سجنه الفظيع الحافل بالكآبة والعزلة: «جاكس، هل لك أن تعانقني؟».

نظرت إليه وقد ملأها الرجاء. وأدركت أنه صفح عنها، لكنه سيبقى دوماً فاتراً معها. أتراه سيواسيها الآن، وهي في بحاجة إلى مواساته وعواطفه أكثر من أي وقت مضى في حياتها؟ هل هو حقاً جاكس الذي تحب أم شخص مختلف؟

كانت تعلم أنهما لن يصبحا حبيبين قط، لكنها تحبه. لا يمكنها أن تعيش من دون صداقته.

لم تشأ أن تتوسل إليه، لكن حاجتها لأن يطمئنها كانت ماسة. تردد لحظة ثم أخذها بين ذراعيه الدافئتين. أخذت تتشممه، وأحبت رائحته فهمست: «شدني إليك».

شدها إليه بعنف فتأوهت بصوت مرتفع وهي تتشبث به بكل قوتها. ورفعت وجهها إليه تسأله: «أنت مازلت تهتم بي، أليس كذلك يا جاكس؟».

واحتكت شفتاه بشعرها صدفة ما أحدث بينهما صدمة كهربائية جعلت كيم تشعر بنشوة التوقع والرجاء أيضاً. وتحركت يداه ثم جمدتا مكانهما فيما شعرت هي بتيار كهربائي يسري في

عروقها، منطلقاً حتى أطرافها ليعود ويستقر في جوفها.

هذا السيل الجارف من المشاعر كان أقوى من أن يقاوم، وأن يسمح للمنطق أو التمييز بالتدخل.

تلاشى الواقع ووجدت كيم نفسها في دنيا الأحلام، شعرت بنفسها تسبح وتطير وقد غاب ذهنها بشكل رائع وسحرتها المشاعر المألوفة والجديدة في آن. وجاءت صيحة التعقل الواهنة المتضرعة إليها من مكان بعيد فأعادتها إلى أرض الواقع. إنه جاكس صديقها! وإذا ما تورطت معه فقدته، وهي لا تستطيع أن تفقده. لا يمكن أن يصبحا حبيبين!

وأجفلت فتمتم بصوت خشن: «كيم، ما الأمر.....».

- ما يحدث خطأ.

١١ - لن نعود كما كنا

- هذا... هذا لم يحدث قط يا جاكس. نحن شخصان راشدان. يمكننا أن ننسى هذا الأمر، ثم.... ثم...

وأومأت برأسها بسرعة وكأنها كلما أسرعت في الإيماء كلما سهل عليها أن تقنعه.. وتابعت تقول:

- ستتابع علاقتنا كصديقين حميمين، صح؟

بقي صامتاً طويلاً ما أثار قلقها، ثم رفع نفسه على مرفقه، وعيناه لا تتحولان عن عينيها: «بل (خطأ)».

جوابه هذا أذهلها وأخافها: «ماذا؟ ماذا تعني بقولك (خطأ)؟».

- أعني كلا يا كمبرلي، لا يمكننا أن نعود مجرد صديقين حميمين.

لم تستطع أن تتنفس وشعرت بدوار فوضعت يدها على صدرها وقد تسارعت أنفاسها. جاهدت لكي تتمالك أعصابها، فلا تصاب نوبة عصبية هستيرية، ثم قالت بصوت عالٍ: «هيا، يا جاكس لا تكن.. لا تكن صعباً».

- أنا لا أحاول أن أكون صعباً. في الواقع، لن تعود الأمور بيننا إلى ما كانت عليه، ولا أصدق أنك تريدينها حقاً أن تعود.

ونزل من السرير وسار نحوها: «لا تخافي يا كمبرلي

واهدأي».

مد يديه إليها لكنها ابتعدت: «لا أريد أن أهدأ».

وهرعت نحو الحمام مضيفة: «لن أهدأ حتى تعدني».

لم يبدُ عليه الاهتمام بانفجارها هذا واستمر في النظر إليها برزانة.

يا للسموات.. لقد فعلت بالضبط ماكانت تخشاه!

لقد سمحت لحبها بأن يطغى على عقلها. وتملكها خوف صاعق من أن تفقد جاكس.

اقترب منها ثم قال وعيناه تلمعان: «كمبرلي أنا أعشق النظر إليك. أعشق رائحتك ووجودك قربي».

شهقت بذهول للعاطفة المشبوبة في صوته. لم يسبق لها قط أن سمعته يتحدث بمثل هذا التوقد والحماسة.

وأمسك بكتفيها وجذبها إليه: «تباً يا كيم! بعد كل ما جرى بيننا أرفض إخفاء شعوري نحوك أكثر من ذلك. أنا أحبك».

وقبّل صدغها وهو يهمس بصوت أجش: «لقد أحببتك طوال حياتي. ولن أكذب بعد الآن مجاملة لقناعاتك الملتوية وخوفك المرضي من الزواج».

لا يمكن لجاكس أن يحبها وصرخت وهي تدفعه عنها: «كلا كلا هذا سيدمر كل شيء. عليك ألّا تحبني ياجاكس. لا... ليس بهذا الشكل! ألا ترى؟ لايمكننا أن نحب بعضنا بتلك الطريقة. العاطفة الحميمة سلاح ذو حدين، فالعلاقة الحميمة لا تدوم. إنها تضعف وتموت. الأزواج يتخاصمون، وتزداد الكراهية ثم ينتهي الحب».

واغرورقت عيناها بالدموع ثم أشارت إليه مضيفة:

- أنا بحاجة إليك في حياتي، ولكن كصديق. لايمكنني أن أكون حبيبتك ياجاكس، ولن أكون. أنا أرفض أن أحبك بذلك الشكل.

حدّق فيها وقد بدأ يرتجف، وكأنما أطلقت عليه النار. وبعد صمت دام لحظة طويلة، قال يهددها بهدوء وصوت متزن: «لن أكون صديقك. لا يمكنني أن أكون صديقك فقط، ياكمبرلي؟».

ورفع ذراعيه سائلاً: «لماذا برأيك بقيت في شيكاغو بعد التخرج من الجامعة؟».

وقفت صامتة، وقد منعها الذعر من التفكير، فكيف بالجواب؟

فتابع وقد توتر فكه: «لأنني... لأنني قررت أنني إذا لم أستطع أن أحصل عليك زوجة لي، فسأخرجك من حياتي..».

ورغم أن كلماته كانت منتقاة بعناية، وسلوكه متحفظاً، إلّا أنها لاحظت الغضب فيها: «قررت عدم رؤيتك مجدداً. لكن لعنتي هي... لعنتي هي أنني أحبك».

وتهدج صوته: «وكما ترين، ومهما كانت لهفتي إلى إخراجك من حياتي قوية، لم يترك حبي لك خياراً حالما رأيتك».

حدقت فيه شاعرة بالغثيان، وجاهدت كي تفهم. عزيزها جاكس أراد أن يخرجها من حياته، وتجنبها لسنوات؟ وهي التي لطالما اعتبرته أفضل وأخلص صديق لها في العالم؟ لقد اعتقدت أنه الشخص الوحيد الذي يمكن أن يقوم بأي شيء من أجلها، كما أنها مستعدة لأن تقوم بأي شيء من أجله... وإذا به يريد أن يخرجها من حياته! هذا غير مفهوم، لم تستطع أن تفهم.

وسألها: «هل فكرت قط في ما ستفعلينه لأولادك؟».

- لن أنجب أولاداً حتى أجد الرجل المناسب..

ضحك بمرارة: «ما من رجل مناسب لك يا كيم. إن طريقة اختيارك للرجال لا تمنحك سعادة دائمة».

هتفت برعب مدافعة عن نفسها: «أنت مخطىء. عليّ فقط أن أجد رجلاً مناسباً لا أتخاصم معه».

- ولا تكنين له عواطف خاصة. وبهذا تسمحين لنفسك بأن تنجبي منه أولاداً؟ أنت تظنين أن هذا النوع من العلاقات الفاترة مثالي لإنجاب الأولاد؟

عبست، وقالت: «أنت لا تفهم، سيكون... سيكون بيننا عواطف محمومة لأننا سنكون مناسبين تماماً لبعضنا البعض. سنتفق دوماً ولن نتشاجر أبداً».

شخر باشمئزاز: «ابحثي عنه في دنيا الأحلام، لأنها المكان الوحيد الذي تجدين فيه شخصاً كهذا».

وبدت التعاسة والإحباط على ملامحه الصارمة ما وجدت كيم صعوبة في النظر إليه. لم يخطر في بالها قط مدى الألم الذي تسببت له به، لكن هذا لا يمنحه الحق في انتقاد الطريق الذي اختارته لنفسها في الحياة. رفعت وجهها وواجهت نظراته: «ومن أنت لتخبرني بأنني مخطئة في ما أعتقده».

- أنا الذي يعرفك أكثر مما يعرفك أي شخص آخر في العالم، الرجل الذي يحبك..

كما أنه خال من أيّ عيب في وجهه وجسمه. وهو طويل ومتناسق الجسم ومليء بالرجولة.. لكن... جاكس له دور معين

يقوم به في حياتها، وعليه أن يبقى موجوداً من أجلها إلى الأبد كصديق، وليس كرجل تربطه بها علاقة حميمة، رجل سرعان ما يبتعد مع القمر الجديد.

وشعرت بوجهها يتوهج. هل يحبها جاكس؟ ويريد أطفالاً منها؟ هذا كثير!

كثير للغاية! وارتجفت لضخامة هذه التعقيدات التي حملها هذا اليوم إلى حياتها. فصديقها الوحيد المخلص أخبرها بأنه لا يريد أن يبقى صديقها بعد الآن كما اعترف لها بأنها حب حياته. والأسوأ هو أن يكون قد فعل ذلك لبعث الأمان في نفسها.

إنها تعشق جاكس، وإدراكها هذا صعب بما يكفي لمواجهته. لكنها لا تستطيع... لا يستطيعان! هذا لن ينجح. كل الأمان الذي في عالمها يتبدد حولها. هي وجاكس تظاهرا وحسب بأنهما زوجان، وها هما يتخاصمان. ورغم اعترافه بأنه يحبها، إلا أنه سوف يهجرها مدمراً صداقتهما، إذا رفضت أن ترى الأمور كما يراها.

لقد وقف أمامها اليوم جاكس آخر مختلف تماماً، جاكس صارم بادي القسوة. لقد تحول الرجل الذي أحبته إلى رجل تخافه. وساد بينهما صمت فاتر بارد للغاية واستحال الغم الذي تشعر به إلى توتر في معدتها. وإذا بقيت نظراته المتأملة الكئيبة تخترقها لحظة أخرى، فسوف تتهاوى على الأرض ألماً.

وفي يأسها ولهفتها لأن تبدو باسلة جريئة، استجمعت شجاعتها مشكّلة من حولها درعاً لايمكن اختراقه، ثم قالت: «أنا ذاهبة لأستحم سأكون مشغولة للغاية اليوم».

واستدارت على عقبيها وسارت مبتعدة شامخة راجية أن تغطي المياه الجارية آهات قلبها المحطم.

* * *

كان النهار شاقاً وكانت كيم قد خططت لحفل شواء متنوع على المرج الأخضر عند المساء كما خططت كذلك لإقامة خيمة للرقص.

كان العشاء على المائدة المستطيلة ذات الغطاء الأبيض قد انتهى منذ فترة طويلة، فوضعت مائدة الحلوى مع غيرها من الموائد الصغيرة المستديرة والكراسي، في الخيمة.

نظرت كيم إلى ساعتها فوجدتها تشير إلى العاشرة والنصف. وكان السيد ناكامورا، الذي أمدهم بأدوات الترفيه والموسيقى يعزف على القيثارة عزفاً رائعاً. ورغم ما شعرت به كيم من تعاسة، إلّا أن عزفه جعلها تبتسم ابتسامة حقيقية مختصرة، حتى وهي ترقص بين ذراعي زوجها الزائف، الذي يتظاهر بأنه زوج شغوف.

قال جاكس: «أنا أيضاً أرى أن عزف ناكارامو حسن».

أدهشها بفطنته فقابلت نظراته كارهة: «كيف عرفت أن هذا ما جعلني أبتسم».

قال بابتسامة ساحرة للغاية: «تخمين..».

لكن كيم رأت ابتسامته مصطنعة فتحديقه الحزين فيها يخبرها بقصة مختلفة. وهمس: «سيسعدني أن أعرف أنني مخطئ، وأن ابتسامتك موجهة لي أنا. أخبريني أنك تبتسمين لي لأنك تعشقين وجودك بين ذراعي، كما أعشق أنا أن أعانقك».

ابتلعت ريقها بصعوبة: «أنت تعرف شعوري نحوك يا جاكس. أنا أحبك، أحبك حقاً! ولكن هذا لا يهمك كثيراً... إلا إذا كان بشروطك الخاصة».

شعرت به يتوتر، ورأت فكه يتصلب ثم قال: «عشت بشروطك أنت ثلاثين عاماً تقريباً... يا حبيبتي. ألا تظنين أن دوري حان الآن؟».

شحب وجهها: «لكنني لم أكن أعلم ذلك».

- أنت تعلمين الآن..

بدا صلباً عنيداً، حتى ابتسامته لها وهو ينظر إليها لم تكن عفوية. كان الوضع بينهما غير عادي، زوج زائف بشفتين باسمتين وعينين غاضبتين يلح عليها إما أن تتزوجه زواجاً حقيقياً، وإما أن يطردها من حياته. سألته وهي غير قادرة على استيعاب هذا كله: «ألم يعد بيننا حل وسط؟ تسوية ممكنة؟».

- قمت أنا بالتسوية طوال حياتي فكنت الصديق الذي تهرعين إليه كلما حطم رجل ما قلبك، تباً لذلك يا كمبرلي! كان ذلك يحطّمني بشكل منتظم. كنت أتألم بصمت. أنا أحمق لتحمّلي ذلك طوال تلك المدة. بالتالي الآن، إما أن تحبيني، وإما أن تتركيني وترحلي بعيداً عن حياتي..

وابتسم ساخراً بمرارة: «إما أن تحبيني، وإما أن تتركيني وترحلي عن حياتي..».

كررت قوله هذا في ذهنها بكدر بالغ، وقالت محاولة استعادة الحياة التي تريدها: «قد يبدو هذا مناسباً لك أما بالنسبة لي فهو يثبت مقدار عدم اهتمامك بي».

توقف عن الرقص وقد تلاشت إبتسامته، ثم همس بخشونة: «لا تتلفظي بمثل هذا الهراء، حتى أنت لست مقتنعة بصحة قولك هذا».

عبست وقد تملكها الارتباك شاعرة وكأن العالم كفّ عن الحركة: «لا تخبرني عما أنا مقتنعة به».

- لا تكذبي على نفسك! أنا لست مضطراً لذلك..

أخذت تسعل بانفعال، وقد حبست أنفاسها بشكل غريب. عليها أن تخرج من بين ذراعيه، أن تبتعد عنه قليلاً: «دعني أذهب».

حاولت أن تتملص منه لكنه لم يتركها، بل شدها إليه بيده الموضوعة على ظهرها، من دون أن يحوّل عينيه عن عينيها. لكن عينيه تغيرتا وأصبحتا أكثر حرارة: «هل أخبرتك من قبل كم يبدو شعرك جميلاً في وهج النار؟».

ازدردت ريقها بصعوبة ولم تستطع أن تجد صوتها. يبدو أن كل كلمة ينطق بها أصبحت تخدش إحساسها بشكل يمنعها من التفكير أو الجواب. أخذ يتحرك مرة أخرى وهو يشدها إليه، فلم تستطع أن تفعل شيئاً سوى أن تندّس به ما زاد من شوقها إليه.

وتمتم قائلاً: «أتعلمين يا حبيبتي أنني أعرف كل نمشة على وجهك عن ظهر قلب؟ وكل مرة أراك فيها أقاوم الإغراء الذي يتملكني لتقبيلها».

أغمضت عينيها وأسندت وجنتها إلى صدره، ثم همهمت: «جاكس أنا مضطربة للغاية».

- ما من سبب يجعلك كذلك. دعيني أحبك يا كيم بالطريقة التي تناسبك، الطريقة التي تحبينها.

وذهب إقناعه الرقيق لها بعقلها وأفقدها تحكمها بنفسها. كيف أمكن هذا؟ وسرعان ما احتل الحب مكان الخوف والاضطراب في نفسها وشعرت بقلبه يخفق في أذنيها فتذكرت جمال هذا الصباح وهو يعانقها. تشممت رائحته فعاودتها ذكرى تلك العواطف المشبوبة بينهما وتسارع تصاعد خفقان قلبها وبدت أنفاسها مرهقة.

- حبيبتي....؟

ازداد تشوش ذهنها ودار رأسها وشعرت بأنها على وشك أن يغمى عليها وانفرجت شفتاها بكلمة (نعم)، وفي تلك اللحظة ارتفع صوت عبر المايكروفون يطلب من الحضور بمرح وابتهاج أن يساعدوا السيد ناكامورا في تقديم عرضه. هذه المقاطعة لهما كانت أشبه بإفراغ دلو من الماء البارد على رأسيهما، إذ أعادتها بعنف إلى واقعها الكئيب، وتملكتها موجة من الانزعاج لأنها كادت تقتنع بكلام جاكس. واستشاطت غضباً ووجدت نفسها بحاجة إلى التنفيس عن هذا الغضب بإيذاء جاكس فابتعدت من بين ذراعيه بخشونة بالغة قائلة: «المعذرة... حبيبي علي أن اتحدث إلى متعهد الطعام».

كان ذلك كذباً ولكن إذا لم تبتعد عنه في تلك اللحظة فإن الأغنية العاطفية التالية ستفقدها قدرتها على المقاومة ما يجعلها تتبع جاكس إلى جوف الليل وبكامل إرادتها.

* * *

نظر إليها جاكس وهي تبتعد شاعراً وكأن قلبه يتحطم. كيف يمكنه أن يجعلها ترى العلاقة بعينين لم تعمهما أخطاء أمها؟ بدأ

أمله في أن تشفى جراحها العاطفية التي عانت منها في طفولتها يتضاءل.. وعندما انتهى التصفيق وانطلق لحن آخر من مكبر الصوت، غادر جاكس باحة الرقص من دون وجهة معينة في ذهنه.

كان كئيباً مرهقاً من اجتماعات النهار.

لقد تشتت أفكاره، وانحرف ذهنه عن العمل الذي بين يديه إلى ما حصل مع كيم. ما حصل الليلة الماضية كان ما لطالما تمناه وحلم به في حياته وإن لم يكتمل.

كان عليها أن تشعر في أعماقها، بعيداً عن أي مقاومة أو خوف، أنهما خلقا لبعضهما البعض. ولكن أنّى لذلك أن ينفذ إلى أعماقها؟ أهو قادر على ذلك؟ ليته يعلم. إنه على استعداد للتخلي عن نجاحه كله في سبيل الحصول على مفتاح يمكّنه من أن يجعل كيم تؤمن بأن الزواج والالتزام ليسا حكماً بالإعدام على العواطف المشبوبة.

شعر بشخص يمسك بيده فامتلأ رجاء. وعندما التفت وجد ترايسي تبتسم له، فابتسم لها مخفياً خيبة أمله.

- مرحى يا جاكس. الحفلة تسير بنجاح، أليس كذلك؟ أشهد لكيم بذلك. فكرة هذه النزهة الخليوية رائعة. إنهم يقيمون حفلة راقصة.

- هذا ما يبدو..

- بعد ما حدث الليلة الماضية، خشيت أن نكون قد خسرنا (يوشيدا). لكنه دائم الابتسام الليلة.

تأملته بجد ثم قالت بابتسامة متكلفة: «ما هذا؟ ألست مسروراً

www.elromancia.com

باجتماعات هذا النهار؟ ظننت أن عملنا كان رائعاً. صحيح أنك كنت شارداً قليلاً لكنني تألقت».

- نعم.... آسف لذلك. أعلم أنني لم أكن في حالة طبيعية..

تأملته لحظة ثم قالت: «يبدو أن معنوياتك منهارة. أيمكنني المساعدة؟».

فقال بابتسامة ساخرة: «أرجوك ألاّ تفعلي، فقد ساعدتني بما يكفي».

تأملته مشككة: «المشكلة إذن مع كيم».

أضافت وهي تمسك بمرفقه: «يبدو أن ثمة خطب ما. فلنجد زاوية هادئة لنتحدث».

لم يعجبه مجرى الحديث فابتعد عنها وقال: «لِمَ لا تتناولين قهوتك وحلواك وتنسين شؤوني؟ لن أتحدث عن كيم معك».

لكنها أشارت إلى مائدة قريبة قائلة: «اجلس معي وتحدث».

- مستحيل.

بدا عليها الإحباط: «هيا يا جاكس، فأنا أكاد أموت فضولاً، أنا أهتم بك، وقد تدبرت أمرك وأمر كيم لتكونا في غرفة واحدة...».

قاطعها منزعجاً وهو ينظر إلى باحة الرقص: «أحدنا يجب أن يختلط بالمدعوين وسأذهب أنا بينما أنت تبقين».

- أنت جبان، لكنني سأعلم ما حدث بطريقة ما.

لم يجب بل وضع قهوته على الطاولة واتجه نحو السيدة «إينو». التي بدا جلياً أنها ترغب في الرقص. واعتبر جاكس أن

الرقص معها أقل كآبة من أن يتحدث عن حياته العاطفية مع ترايسي.

حدَّث نفسه بأن عليه أن يواجه الأمور وأن يعمل فالتفكير الكئيب في كيم قاسٍ ومؤلم، لكن ملايين الناس يتألمون ومع هذا يتدبرون أمورهم ويعملون. عليه أن يدع الشعور بالأسى على نفسه وأن يلعب دور المضيف الجذاب كما يتوقعون منه. إنه عمل عليه أن يقوم به وهذا ما سيفعله.

www.elromancia.com

١٢ - أصبحت أضحوكة

قالت ترايسي وهي تدخل المطبخ: «يسرّني أن أجدك هنا».

وكانت كيم تجلس الى المائدة الفسيحة المربعة تدون بعض الملاحظات لتتركها للمستخدمين قبل أن تأوي إلى فراشها. كانت الملاحظات عذراً لعدم مواجهته.

رفعت بصرها الى ترايسي التي دخلت بقامتها الطويلة وثقتها البالغة بنفسها، فبدت أشبه بحورية بحر مثيرة.

انتهت الحفلة منذ ساعة، وصعد الضيوف إلى غرفهم لكن كيم قررت إنهاء عملها قبل التخلص من ملابسها والاستحمام.

تناولت ترايسي إبريق الشاي الموضوع الى الموقد، وقالت: «أنا بحاجة إلى فنجان من الشاي فماذا عنك؟».

- لا أظن ذلك.

- هل أتطفل عليك؟

وجلست بجانبها واضعة ساقاً على ساق وكأن جلوسها نصف عارية بهذا الشكل في مطبخ جاكس هو حدث عادي.. وأجابت كيم وهي تريها الورقة: «لا، أبداً. السيدة يوشيدا تريد مزيداً من الفاكهة الطازجة والسيد إيشيكاوا يريد «الميزو» و«الناتو».

بدا الاهتمام على ترايسي: «أحقاً؟ وهل لدى الطاهي المكونات اللازمة لتحضير هذا؟».

هزت كيم كتفيها بملل. كان نهاراً متعباً بالنسبة إليها.

- الميزو موجود في كل مكان، فأرجو أن يحصل السيد إيشيكاوا على حسائه يوم الجمعة. وكذلك الناتو..

سألتها ترايسي وهي تنهض لترفع إبريق الماء الذي يغلي: «ما هو الناتو؟».

فأجابت كيم: «إنها بازيلا محمرة».

فقالت ترايسي ضاحكة:

- بقول على الفطور؟ ... أنت تمزحين.

لم تكن المرأتان قد تبادلتا حديثاً حقيقياً من قبل لكن هذا لا يعني أن لدى كيم رغبة كبيرة في ذلك، كما أنه لا يعني أنها تغار من ترايسي... حسناً، ربما قليلاً وربما لا. من يعلم! كانت مشاعرها مشوشة الليلة

وضعت ترايسي فنجاناً أمامها: «يكفي حديثاً عن الميزو والناتو. كيف تسير الأمور بين العروسين؟».

ووضعت ساقاً على ساق ثم مالت إلى الأمام وأذهلت كيم بقولها: «في الواقع أخبرني جاكس عن.. أنت تعلمين».

وأومأت وفي عينيها نظرة تفهم واهتمام ولم تستطع كيم أن تخفي دهشتها. فكرة أن يخبر جاكس أي شخص عما حدث بينهما لم تخطر في بالها قط. وشعرت بخديها يتوهجان فضغطت راحتيها عليهما.

لمست ترايسي ذراع كيم بمودة:

- لا بأس عليك يا حبيبتي. أنا وجاكس متقاربان إلى أقصى حد، وما من أسرار بيننا.

www.elromancia.com

وإذ لم تستطع مواجهة عيني ترايسي أخذت تحدق في الأرض، وقالت: «أظن أنه ما كان لي أن أدهش، فأنت وجاكس عشيقان. لابد طبعاً من أن تتبادلا الأسرار».

وواجهت ترايسي وفي ملامحها تساؤل كئيب عن علاقتها بجاكس: «علي أن اعترف بأنني لا أفهمك إذ تلقين بي مع جاكس في الغرفة نفسها، ألا تخشين أن...».

وسكتت بارتباك وخفضت بصرها: «أن تتطوّر علاقتنا؟».

- وهذا ليس أمراً جيداً بالنسبة لك؟

- لا....أعني نعم..

ولم تستطع أن تمنع نفسها من النظر الى المرأة الشقراء لترى الشك يبدو على ملامحها هذه. وسألتها كيم: «ألست متكدرة؟».

تملكت كيم الدهشة وهي ترى ترايسي تضحك بتسلية بالغة وتجيب: «لِمَ أتكدر؟».

- أعني يبدو لي أن ثمة ارتباطاً عاطفياً بينكما.

- كذلك الذي تشعرين به نحو جاكس؟

- نعم.. أمره يهمني جداً. ألا تفعلين؟

هزت ترايسي كتفيها وأخذت رشفة من فنجانها ثم قالت: «بكل تأكيد. أنا لا أفكر في الزواج حالياً على الأقل. ربما عندما أبلغ الخمسين أو الستين ولكن ليس الآن».

زفرت كيم بتثاقل: «أخبرني جاكس أنك لا تريدين الزواج ولكن خيلّ إليّ أنه يريد أن يتزوجك».

وقطبت جبينها تحاول أن تتذكر كلماته بالضبط: «قال إنه يريد أن يتزوج».

فأومأت ترايسي: «هذا صحيح، لكن ليس مني».

فتحت كيم فمها بذهول: «أكنت تعلمين هذا؟».

فضحكت ترايسي بصوت خافت: «يا حبيبتي أنا أعلم عنك منذ سنوات».

وأمسكت بذراعها تعتصرهما مضيفة: «كرهتك من كل قلبي».

ثم تركت ذراعها: «أراك ترتجفين. أليس لديك فكرة عن شعور جاكس نحوك؟».

أخفت كيم غصة في حلقها واشاحت بوجهها: «أعرف أنه كان يكنّ لي شعوراً أشبه بالافتتان في المدرسة الثانوية».

- شيء من الافتتان؟ يا حبيبتي هذا أشبه بالقول إن للشمس نوعاً من الأهمية في نشر الدفء بيننا.

شعرت كيم بالمذلة والخجل لإغفالها مشاعر جاكس نحوها ما جعل هذا الحب أكثر إنهاكاً لها.

- لا أعرف ماعليّ أن أفعله.

فقالت ترايسي: «ثمة حل واحد هو أن تتزوجي الرجل وتخرجيه من تعاسته».

غطت كيم وجهها بيديها: «لا أستطيع فالزواج يقتل الحب».

ضحكت ترايسي باكتئاب:

- كما سبق وقلت، أنا لست من عشاق العقود الطويلة الأمد، لكنني لست جاكس، فهو يريد بيتاً وأسرة. لم نكن أنا وجاكس قد تشاركنا في العمل منذ مدة طويلة عندما أوشك أن يقع في غلطة الزواج. كاد يتزوج (كمبرلي المستنسخة).

وضعت كيم يديها على المنضدة وأخذت تحدق في خاتم

www.elromancia.com

الزواج الذي تلبسه: «المستنسخة؟».

- نعم كانت وكأنها شقيقتك التوأم لكنها أطول منك بقليل وأنفها أجمل.

سكتت لحظة وعادت بعدها لتقول:

- لا أريد أن أجرح شعورك لكن أوضاعك المتقلبة المضطربة تلك أزعجتني إلى حد كبير.

ومضت ترايسي في الحديث إما من دون وعي منها وإما من دون اهتمام باضطراب مشاعر كيم.

مسحت كيم عينيها وسألت: «هل كانت تشبهني حقاً؟».

- نسخة ثانية عنك ماعدا الأنف.

غرقت كيم في التفكير محاولة أن تفهم ما يجري من حولها ثم سألتها: «وهكذا اخترعت قصة الزواج الزائف لكي تجمعينا معاً؟».

- نعم تصوّرت أن الطبيعة ستأخذ مجراها.

- هل ظننت أنني وجاكس سنرتبط بعلاقة أبدية؟

- كلا، أردت أن ينال جاكس غايته منك لكي يستطيع لاحقاً أن ينساك..

يبدو أن اتساع عينيّ كيم لدى سماعها هذه المؤامرة القاسية أدهش ترايسي فقالت: «هل جرحت مشاعرك؟».

- آسفة، لكن عليك أن تتذكري أن جاكس زميلي في العمل وأعز صديق لي في العالم وأنت....

سكتت وهزت كتفيها ثم أردفت: «تذكري أنني كرهتك لسنوات عديدة، وأني أكاد لا أعرفك وبالتالي لا تهمني

مشاعرك».

نظرت إليها كيم بدهشة وقد ثارت أعصابها وشعرت نحوها بالغضب: «اسمعي! أنا متكدرة الآن وعالمي ينهار فهل أسعدك هذا؟».

قطبت ترايسي: «أنت مجنونة».

- ألن تجنّي لو كنت مكاني؟

رفعت ترايسي فنجانها ترشف منه والتفكير يبدو عليها ثم قالت: «حسناً لكان وضعنا تغيّر بسرعة لكنني لن أصبح مجنونة..».

لم تشعر كيم قط من قبل بأنها مخدوعة ومستغلة بهذا الشكل فوقفت وكادت الكرسي تنزلق من تحتها من شدة اضطرابها: «إذا اردت رأيي الصادق، فأظنك امرأة حقيرة».

رفعت ترايسي فنجانها بتحية مرحة: «ركب الحياة يستمر».

شهقت كيم وهي تفاجأ بعدم اكتراث ترايسي وقالت لها: «عليك أن تخجلي من نفسك لا أن تظهري هذه البرودة والوقاحة».

- أحقاً؟ أخبريني إذن يا كيم، لو تبادلنا الأوضاع وكنت أنت زميلة جاكس في العمل ولاحظت كم يتألم بسببي أنا المتقلبة المشغولة بذاتي وصداقتي، ألا تفكرين في وضع خطة بارعة تساعده على نسياني؟

متقلبة، مشغولة بذاتها؟ هل يراها الناس بهذا الشكل؟ هل يراها جاكس بهذا الشكل وهل وصفها لترايسي بمثل هذه العبارات؟ ارتعش قلبها لهذه الفكرة وعندما حاولت أن تتكلم

www.elromancia.com

ارتجف صوتها فتنحنحت وحاولت مرة أخرى: «ولكن بإمكاني أن أفعل أي شيء من أجل جاكس».

- أنا فعلت ما فعلته من أجل جاكس. آلمني جداً أن أراه تعيساً الآن وأرجو أن يبدأ في وضع شخصك الأناني، المتقلب، غير المراعي لمشاعر الآخرين خلفه ويتابع طريقه..

متقلبة؟ غير مراعية لمشاعر الآخرين؟

- لكن.. لكنني لست.. لم أشأ قط أن أكون بهذه الصفات الفظيعة. عندما كان جاكس جاري في الطفولة ويواجه أيّ مشاكل كان بإمكانه أن يأتي إلي.

- لكنه لم يفعل، أليس كذلك؟

شعرت كيم بطعنة حادة من الندم، لِمَ لم تلاحظ هذا؟ ولكن كان بإمكانه أن يفعل ذلك وصرخت: «إنني أفعل أي شيء من أجل جاكس.. أي شيء».!

وأضافت العبارة التي تكررها دوماً: «إنه الشيء الوحيد الموثوق به في عالمي ولا يمكنني أن أفقد ذلك. إذا أصبحنا حبيبين فسأفقده، ألا ترين؟ هذا هو السبب الذي يمنعني من أن أكون حبيبته أو زوجته. لكن كصديقة من أخلص أصدقائه، سأذهب من أجله إلى آخر الدنيا».

فقالت ترايسي بازدراء: «نعم ستذهبين إلى آخر الدنيا إنما لتزعجيه بمشاكلك. وبوجود أفضل صديقة له تحوم حوله لن يحتاج جاكس إلى جارة متطفلة منتحبة. من النوع الذي يندفع إلى الداخل من دون دعوة ويفرض نفسه عليه للعشاء أو الفطور أو غير ذلك تبعاً لوقت وصولها.. وأخيراً، بعد أن تشبع وتستعيد الثقة

بالنفس مرة أخرى، تخرج بخيلاء، وتتجاهله حتى تحدث أزمتها الشخصية التالية».

ورفعت حاجبيها تحدياً، فقالت كيم وقد ضايقها وصف ترايسي لها: «هذا ليس عدلاً».

لكنها ادركت في أعماقها أن ثمة شيء من الحقيقة فيه: «أنا أحب جاكس ولو خطر لي أنني أزعجه...».

أخذ شعورها بعدم الارتياح يزداد تدريجياً:

- ما كنت لأسبب له أيّ أذى أو حزن بإرادتي، كم من مرة علي أن أكرر هذا؟ أنا أحسن....

قاطعتها ترايسي: «لا يا كمبرلي، أنا هي أفضل أصدقائه بينما أنت المرأة التي يريد أن ينساها».

ووقفت وقد بدا الجد في ملامحها قبل أن تردف: «يتملكني الغثيان كلما رأيته يؤذي نفسه من أجلك».

ونظرت الى كيم من طرف عينها ساخرة: «بما أنك لا تنوين الزواج منه، ومن غير المحتمل أن تتزوجي غيره، فخذي مني هذه النصيحة: بعد أن ينتهي أسبوع الاجتماعات يوم السبت من الافضل أن تكفي عن التردد عليه. هذا إذا كنت تفهمين ما أعنيه».

الغضب والانهيار صدما كيم فلم تستطع النطق.

وغمزتها ترايسي بعينها ثم اتجهت إلى الباب: «أحلاماً حلوة».

لم تستطع كيم، وقد دَمرها الحزن والغضب، إلاّ أن تحدق في أثرها بصمت.

لم يكن في نية جاكس الخلود إلى النوم قبل عودة كيم. كان يعلم أنها تتجنب الانفراد به، لكنه رجل صبور وينوي التحدّث إليها. عليه أن يقنعها بأن الزواج يمكن أن يكون رباط حب دائم. إذا كان الزوجان حساسين بشكل كاف وصريحين وصادقين وراغبين في الكفاح لإبقاء الأمور بينهما منتعشة دوماً. المشكلة مع والدة كيم كانت أنانيتها وكسلها واعتقادها أن المشاعر الهائجة العنيفة هي التعبير الصحيح عن الحب.

غلطتها الكبرى هي عدم إدراكها أن الحب يمكن أن يكون رقيقاً ومليئاً باللطف والحذق والمراوغة.

كان لدى والدة كيم فكرة هدامة حمقاء وهي أنّ الحب ينتهي عندما تتلاشى البهجة البدائية. وكان طبيعياً أن تشهد كيم الخصام الدائم والانفصال البشع ليس مرة واحدة بل على الدوام.

جلس على حافة السرير متأملاً السجادة إنما من دون أن يرى سوى وجه كيم الفاتن. وتملكه مزيج من القسوة والعجز والمرارة، أنى له أن يخترق جداراً شيّدته دروس عملية مسمومة؟ وسمع صوت الباب يُفتح فرفع رأسه ليرى كيم تدخل ثم تقف جامدة بعد أن رأت الغرفة تسبح في النور. كان زوجها الزائف الذي يرتدي سروالاً فضفاضاً لا يزال مستيقظاً ويحدق فيها من آخر الغرفة. وبعد ثانية من التردد، تمالكت نفسها وأغلقت الباب خلفها.

حيّته بملامح جامدة لا تفصح عن شيء فانتصب في جلسته وقال: «مرحباً. هل أنهيت عملك؟».

أومأت وهي تتجنب مقابلة عينيه: «ظننتك نائماً».

- لا لدينا الكثير لنتحدث عنه..

نظرت إليه لكنها سرعان ما حولت انتباهها عنه وكأنها تذكرت أنها لا تريد مواجهة عينيه مباشرة: «لا أظن ذلك يا جاكس».

وسارت إلى الخزانة واخرجت قميصاً للنوم مضيفة: «أنا متعبة أريد فقط أن أنام».

إنها تريد أن تنام فيما هو يريد أن يعانقها... يحبها.. يكرس نفسه لها.... جسداً وروحاً، وإلى نهاية حياته. إذا سمح لنفسه بأن يفكر في ذلك التناقض الكامل بين رغبتاهما لوجده غريباً ومسلياً. وضحك بصوت خافت، وقد جعلته سخرية هذا الواقع تعيساً لا يعرف هل يضحك أم يبكي؟

ويبدو أن كيم سمعته يضحك لأنها التفتت فجأة لتواجهه: «أشعر بالغثيان لأني أصبحت أضحوكة».

حدق فيها بحيرة: «ماذا؟».

- وكأنك لا تعلم.

سارت نحوه وهي تنظر إليه مكشرة، فيما نظر هو إليها من دون أن يعلق، وتابعت تقول:

- كان علي أن أعلم أنك ستخبر زميلتك في الجنس.

- من؟؟

- أرجوك لا تنكر فقد تبادلنا الحديث في المطبخ، وأخبرتني بكل شيء.

- من تعنين؟ أنت وترايسي؟

- كيف أمكنك أن تخمن؟

ومدت يدها لتدفعه من كتفه بشدة: «لقد انكشف المخطط.

علمت أنك ستسعى لأن تنساني، ما أحسن هذا العمل يا جاكس!».

وسددت ضربة إلى صدره ثم تركت يدها عليه ضاغطة أصابعها عليه، فقال: «ها أنت تلمسينني مرة أخرى. أتدركين أنك أنت دوماً من يبدأ الاتصال الجسدي؟».

وجذبها إليه مخفضاً معصمها إلى خصره.

ارتعشت ركبتاها، لكنه جذبها بسرعة لتستقر في حضنه بدلاً من الأرض. نظر إلى وجهها، وإلى تقوس فمها الذي تحول من العبوس إلى اللين، وانفرجت شفتاها قليلاً، وارتجف جسمها بخفة بالغة.

وتأوهت: «جاكس... أوه جاكس.. أحبني».

- لطالما أحببتك.

ضمها إليه بشدّة فبادلته العناق. أظهرت شوقاً عنيفاً ومع ذلك بالغ الرقة والحلاوة والاستسلام. لطالما كان يعلم أنه يحبها، لكنه لم يكن يعلم مدى ذلك الحب. وبعد أن أصبحت معرفته بها حميمة بهذا الشكل، لن تعود حياته قط كما كانت. إدراكه معنى أن يكون حياً، أن يكون محباً ومحبوباً، هذا الإدراك تغير إلى الأبد.

فقدانه كمبرلي سيكون أشبه بفقدان عينيه وعقله. وعندما ينتهي هذا الاسبوع فليساعده الله إذا قررت أن تدير له ظهرها وتخرج من حياته...

١٣ - بداية الحلم

إنه صباح يوم الخميس. عندما استيقظت كيم، كانت تعلم بالضبط أين هي. كان جاكس نائماً ما أتاح لها فرصة للتحديق في وجهه بهدوء. بدت أهدابه طويلة سوداء، ووجنتاه بارزتين، وقد ارتفعت زاويتا شفتيه قليلاً وكأن أحلامه ممتعة للغاية.

ارتعشت شفتاها وهي تبتسم بحنان لذلك الجار الهادئ الرقيق الذي أصبح الآن رجلاً وسيماً معطاءً. إنه صديقها الحميم وموضع ثقتها معظم حياتها، الرجل الذي تلجأ إليه دوماً عندما يتحطم قلبها. كان هذا تصرفاً أنانياً منها وقد أدركت الآن أنها كانت عبئاً ثقيلاً عليه لكنه احتمله بكرامة وصمت.

لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تلامس فكه ثم همست: «آلمتك كثيراً يا جاكس. لن اغفر لنفسي أبداً».

وسقطت دمعة من خدها على كتفه. لقد أحبها جاكس وكان الصديق الوفي. جاكس الذي اكتشفت أنها لم تحب سواه، لكنها لا تستطيع أن تتزوجه لئلا تفقده. وعليها الآن أن تجد الشجاعة لتترك جاكس بينما لا تزال نيران الحب الجديد تتوهج في أعينهما.

نعم إنها تحب جاكس كما لم تحب رجلاً آخر، كان حباً أكبر من أن يسمح لعلاقتهما بأن تصبح بشعة. هذا بالضبط ما

جعلها تتعمق في ذاتها لتجد قوة تدعمها. واستطاعت اختزان ذخيرة من الشجاعة تمكنها من التركيز على هدفها الذي ستحققه بعد يومين، يوم السبت قبل أن يمحو الإحباط والغضب سعادتهما. سترحل وتهجر جاكس إلى الأبد. عندما يعود مع ترايسي من المطار بعد توديعها ضيوفهما، ستكون هي قد رحلت. لعل الرحيل من دون حتى كلمة وداع سيبدو جبناً، لكنها لا تعتقد أن تأخير الرحيل للوداع سيفيد أياً منهما. وإذا ما تواجهت مع جاكس فيكفي أن يمسك بيدها، كي تضيع وتبقى.

على الرغم من أن تسللها من وراء ظهره قد يبدو قاسياً إلا أنها تعلم في أعماقها أن هذا هو الحل الأكثر لطفاً والأقل ألماً لهما.

لامست وجنته فوخزتها لحيته النابتة ما أثار مشاعرها. إذا ما استيقظ وابتسم ابتسامة عريضة فسترتمي بين ذراعيه سعيدة راضية.

وقبل أن يحدث هذا خرجت.

توجّهت إلى الحمام وقد لاح أمامها يوم آخر مفزع حيث عليها أن تلعب دور المضيفة المبتهجة، الباسمة ظاهراً، فيما قلبها يتحطم، ولعله من سخرية القدر أنها، هذه المرة، لن تجد من تهرع إليه ليواسيها.

* * *

أمسكته ترايسي من خصره تعتصره بحنان: «جاكس. تبدو مبتهجاً اليوم. هذا يدهشني قليلاً».

كانا قد طافا مع مجموعة من السائحين في أنحاء المدينة وذلك في آخر نزهة للمجموعة بعد أن أنهيا العمل في فترة الصباح

لكي ينضم الأزواج إلى النزهة.

قال جاكس لترايسي بابتسامة عريضة: «ولِمَ لا أكون مبتهجاً؟».

لم يكن يوماً أسعد مما هو عليه الآن حتى أنه لم يهتم بما إذا كان هذا الاسبوع ناجحاً بالنسبة إلى العمل. كل ما يعرفه هو أن كيم أمضت لياليها قربه رغم أنه اعترف لها بحبه وأزاح هذا العبء عن كاهله. إنه يكاد لا يصدق حظه هذا! وطوق كتفي ترايسي بذراعه وقال: «أنا رجل سعيد».

بدا الشك على ملامح ترايسي: «هل تمزح؟ ظننت أنّ كيم غاضبة؟».

- كانت كذلك فعلاً لكنها نسيت الأمر.

هزت ترايسي رأسها بحيرة: «هذا محير حتى بعد أن عرفت أنك تسعى لأن تنساها».

- هذا قول قاسٍ وغير صحيح.

- ماذا تعني؟ كانت هذه هي الخطة.

- خطة لم أضعها أنا.

اقتربت منه تنظر إليه جيداً وكأنها تريد أن تقرأ في ذهنه: «انت لاتعني أن هذا الوضع سيدوم.. أليس كذلك؟».

- لا تكوني متشائمة. إنها تحبني وقد قالت هذا بنفسها.

- يا إلهي، أنت تحلم!

- اسمعي، أريد الذهاب للبحث عن كيم.

-لا. إنس كل شيء عنها وساعدني في انتقاء قطعة فنيّة.

جال ببصره في أنحاء المتحف فلم يجد ما يثير اهتمامه. إنه

رجل مغرم للغاية، ولا شيء آخر يثير اهتمامه: «لا يمكنني أن أنساها».

شدته وهي تصيح بحماسة: «انظر إلى هذه».

التفت جاكس فرأى صورة حمامة كبيرة.

هتفت ويدها على قلبها: «أليست رائعة؟».

وتركت ذراعه وأخذت تتأمل الحمامة بعينين منتقدتين بينما جاكس يراقبها بتسلية: «علي أن أخبرك بشيء عن الحمام قد لا يعجبك».

نظرت إليه متأملة: «أنا أحب الحمام. ما الذي ستقوله فيزعجني؟».

- زواج الحمام يدوم مدى الحياة..

تجاهلته وأخذت تبحث عن اسم صاحب المكان.

وناداها وسط همهمة الزبائن: «استمتعي بوقتك».

عليه الآن أن يبحث عن كمبرلي، وابتسم بينه وبين نفسه شاعراً بالقوة والاسترخاء. لقد أصبحت حياته رائعة، وبشكل لا يمكن تصديقه تقريباً. أصبح الهواء أكثر نقاء والطعام أكثر لذة. أصبح الآن يضحك لأي شيء وأحياناً من دون سبب على الإطلاق. شعر أنه حي منذ أسبوعين فقط بعد أن فقد الأمل في أن تتحقق أحلامه.

١٤ - انسحاب جبان

دخلت كيم إلى غرفة نوم جاكس واغلقت الباب ثم استندت إلى الجدار شاعرة بحزن بالغ. كانت تقف وحيدة وسط رماد صداقة جاكس التي بقيت سنوات طويلة ملجأها الآمن من عواصف الحياة.

منذ لحظة فقط ودّعته هو وترايسي والخمسة اليابانيين وزوجاتهم اللاتي أولعت بهن أثناء الأسبوع الماضي. لقد عانقها جاكس مودعاً كما يفعل الزوج المحب، وهي لا تزال تشعر بطعم عواطفه الرقيقة. لم يكن يمثل دوراً فهو يحبها فعلاً وقد عاش ذلك الحب طوال حياته، قولاً وفعلاً.

أغمضت عينيها وهمست: «آه يا جاكس... أتمنى...».

بدا صوتها تعيساً مستوحشاً. ما الذي تتمناه؟

ليتها تبقى معه طالما عاش حبهما؟ ليتها لم تكتشف مشاعر جاكس وحنانه! ما الذي تمنته؟ وهتف بها صوت خفي أنها تمنت لو أنها وجاكس استمرا صديقين وحبيبين بقية حياتهما؟ أم أنها تمنت أن تلبس خاتم الزواج وتحمل أولاده، وتعيش معه علاقة ثابتة دائمة؟ أن تكون لها أسرة تمثل لها كل الرعاية والحب؟ أمور كثيرة تمنتها بعضها متناقض للغاية. لم تستطع أن تحدد ما تريده بالضبط: ربما تلك الجملة الخيالية التي تقال (عاشا سعيدين إلى

الأبد)؟ لكنها هزت رأسها وهي تفكر... إن نسبة الطلاق ترتفع وتمتد كالنار في الهشيم، والاحتمال الأكبر هو أن ينتهي زواجهما بالشتائم وبكلام يترك جروحاً عاطفية مريعة.

ومسحت دمعة وهي تقول بصوت متهدج: «لا يا جاكس أنا أرفض أن ننتهي بهذا الشكل. سأنهي العلاقة بينما نحن سعيدان».

وانتصبت واقفه تحفزها نواياها الطيبة فخلعت خاتمي الزواج ثم سارت بحزم إلى المنضدة ووضعتهما عليها. وقفت لحظة طويلة تحدق في الخاتمين، لطالما كرهت الزواج ورأته علاقة كئيبة سرعان ما تنهار. كان إغراء الزواج جميلاً... ثوب الزفاف الأبيض، المجوهرات المتألقة، لكن هذا كله ليس سوى طبقة حلوة تغطي كعكة مرة. وقالت تحدث نفسها: هيا تحركي يا غبية! كفي تحديقاً في أحد أهم الأشراك. احزمي أمتعتك وارحلي قبل أن يعود جاكس من المطار.

انحنت وفتحت الدرج ثم القت بالخاتمين في الداخل. بعدئذ، قوت عزيمتها وأمسكت بسماعة الهاتف وطلبت ماغي: «أريد سيارة أجرة بأسرع ما يمكن. أنا راحلة وأرجو بعض المساعدة في حزم أمتعتي».

لم يدهشها الصمت غير العادي إذ كانت تعلم أن ماغي سترتبك لهذا الخبر، فالحنان الذي ساد بينها وبين جاكس في الأيام القليلة الماضية لم يغب عن ملاحظة ماغي وباقي المستخدمين. وقد لمحت كيم سروراً حقيقياً في عيني ماغي، وكأنها اعتقدت أن مخدومها وجد سعادته أخيراً.

قالت ماغي: «سأصعد حالاً».

- أفضلّ أن ترسلي لي الخادمتين يا ماغي. أنت استدعي لي سيارة الأجرة.

- أنا.. نعم بكل تأكيد.

وضعت كيم السماعة وهي تنبه نفسها بأن عليها أن تتمالك مشاعرها فلا تبكي، وأن تبدأ بحزم أمتعتها. وعندما سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، قالت: «ادخلي».

ورفعت بصرها فرأت إحدى المستخدمات المؤقتات تقف في الباب فقالت لها:

- أرجو أن تنرجي الأغراض وتضعيها في الحقيبة.

- نعم يا سيدتي. هل يمكنني أن أقول إنني سررت جداً بالعمل معك ومع السيد جيريون؟ عندما تحتاجون إلى مزيد من المستخدمين اطلبوني شخصياً. اسمي (سارا ماي بوتورف).

تملكت كيم الكآبة وهي تدرك أن هذا لن يحدث أبداً وقالت: «أنا.. بكل تأكيد».

وكانت هذه كذبة خافت أن تنفجر بعدها بالبكاء فهربت إلى الحمام حيث ألقت بنفسها على حافة الحوض وقد انهارت عاطفياً وأخذت تشهق باكية من أعماق روحها وكأنها تنوح تفجعاً أو تندب موتها..

عاد جاكس وحده بينما نزلت ترايسي عند شقتها في شيكاغو. دخل المنزل بخطوات واسعة قد بدا رجلاً واثقاً بنفسه مسيطراً على عالمه. كان هذا الأسبوع هو الأفضل في حياته حتى أنه لم يفكر في نتيجة اجتماعات العمل.

إذا أراد اليابانيون استشارة من الآن حتى رأس السنة، عليهم

www.elromancia.com

أن يتعاملوا مع ترايسي وحدها لأنه صمم على قضاء شهر عسل طويل في «باهاما» أو أوروبا.. لا يهمه أين. سيكون سعيداً في قضاء شهر العسل ولو حتى في شقة صغيرة إذا كانت كيم معه. أن تسمي كيم الوجهة التي تريدها وبعد احتفال حميم ليختفيا في فردوسهما بعد إقامة عرسهما.

رأى ماغي تقترب، فضحك لها وحياها بمرح قائلاً: «نجحنا في عملنا، يا ماغي. أخبري المستخدمين أنهم سيحصلون على علاوة عشرين بالمئة. أين كيم؟».

لم يكن وجه ماغي الجاد يتناسب مع هذا الخبر الجيد. وشعر بعدم الارتياح: «هل من خطب ما؟».

وقفت ماغي شابكة يديها أمامها، خافضة رأسها قليلاً وكأنها تخفي ذنباً ما.

- ماغي؟ أنا واثق من أن الأمر ليس سيئاً إلى هذا الحد.

كل التصورات اندفعت إلى ذهنه. هل هرب الطاهي بالنقود؟ وماأهمية ذلك؟ ماذا لو أراقت الخادمة عصير العنب كله على سجادة غرفة الجلوس البيضاء؟ كان أسعد من أن يهتم لأمور كهذه. لكن ماغي غصت بريقها وبدت الكآبة عليها. مديرة المنزل المبتهجة دوماً والتي هي موضع ثقته تبدو قلقة بشكل أثار فضوله. لم يرها قط من قبل بهذا الحال. وعندما نظر إليها فبدت له على وشك البكاء، فسار إليها مواسياً:

- ماذا حدث؟ هل زوجك بخير؟ الأولاد؟

هزت رأسها: «إنها الآنسة كيم».

- ما الذي حدث؟ هل أصيبت بأذى؟

وتراءت له صور عنيفة فظيعة، وكأنما تحققت أسوأ كوابيسه. سقوط عن الشرفة؟ سقوط عن السلم؟ أم مصيبة قاسية من عند الله؟ ما الذي سرقها منه وهما على وشك أن يعيشا معاً؟ أدرك من وجه ماغي أن الأمر سيء، فاشتدت قبضتاه على ذراعيها: «ياإلهي! أخبريني في أيّ مستشفى هي؟».

فقالت مارغو وهي تشير إلى الباب: «رحلت. قالت أن أخبرك ألا... ألاّ تبحث عنها. أنا آسفة».

كفّ ذهنه عن العمل بينما أخذ عقله يستوعب فقط صوراً قصيرة مزيفة. كان عليه أن يستوعب معنى كلمات ماغي، لكن خشيته من المتاعب جعلته يقاوم... تحذير هامس رن خلال الظلام وغطى عقلانيته... إن فهم كلماتها سيترافق مع ألم لا يطاق. وشعر وكأنه في مكان ما خارج جسده وهو ينظر إلى الأسفل ويقول: «لا بأس. كل شيء... على ما يرام».

_ آه ياجاكس... لم أظن قط أنها قد تكون كريهة وضعيفة الشخصية إلى هذا الحد. لا أدري ماذا أقول.

وبعد لحظة فرك عينيه فوجد أن ماغي رحلت. وببطء سمح لنفسه بأن يستوعب ما قالته عن كيم، وسمح لنفسه تدريجياً بأن يشعر بالألم يتملكه. لقد رحلت كيم.. حتى من دون كلمة وداع. كان يحترق حباً لها، بينما هي لا ترغب في رؤيته مرة أخرى. وأحاطت به الذكريات، تملأه بالشوق إلى أن يعود الزمن إلى الوراء، فيقضي على هذا الألم الذي يتملكه. لكنه لم يستطع أن يخرج نفسه من هذا المكان المظلم لكي يعود فينعم مرة أخرى بذلك النعيم الصافي الذي كان في الأمس.

ركز بصره على السلم ثم صعده منتبهاً فقط إلى ضرورة عدم سقوطه أو فقدانه توازنه في فراغ عظيم حيث لا يصله ضوء أو دفء.

١٥ - الحقيقة الأبدية

جلست كيم وحدها في شقتها أمام مدفأة باردة خالية، تشاهد فيلماً قديماً على شاشة التلفزيون بينما تعبث بشوكتها في عشاءها المؤلف من لحم ديك حبش مع البازيلاء والبطاطا الصينية.

راحت تحدث نفسها: وهكذا أنت وحيدة.. ولكن ماذا في ذلك؟ الكثير من الناس يمضون عيد الشكر وحدهم وهم في أحسن حال وأنا أيضاً في أحسن حال.

وبدّلت القناة لتتابع مباراة في كرة القدم، وأخذت تحدق في الرياضيين المحترفين مذكرة نفسها بأن كرة القدم هي اللعبة التقليدية في عيد الشكر.

وبعد دقائق من مشاهدة رجال في ملابس حمراء وبيضاء أطفأت التلفزيون وهي تتنهد مرهقة لتلقي بأداة التحكّم عن بعد على أريكة أخرى وردية اللون هي إحدى قطع الأثاث التي استأجرتها بعد عودتها الجنونية الى بيتها منذ ستة أسابيع. على أيّ حال لا يمكنها العيش في شقة خالية من الأثاث. وإذ تملكها الضجر حملت العلبة التي تحتوي على ما تبقّى من الطعام وسارت بها إلى المطبخ حيث وضعتها في القمامة محدثة نفسها بأنه كان بإمكانها أن تجهز عشاء أفضل من هذا بفطيرة من الجبن و..

والتفتت إلى ثلاجتها مشككة، هل تجرؤ على فتحها والبحث

www.elromancia.com

فيها عن طعام أفضل؟ لقد ازداد وزنها هذا الشهر. لكنها ما لبثت أن استسلمت لوحدتها واستيائها وفتحت باب الثلاجة.

أمسكت علبة الآيس كريم ورفعت عنها الغطاء ثم عادت إلى الأريكة حيث نفضت خفيها من قدميها وأصلحت الوسائد خلفها، وجلست واضعة العلبة على بطنها. راحت تأكل الآيس كريم احتفاءً بعيد الشكر.

شعرت بحركة خفيفة قرب كتفها، فأدركت أنه القط «جاكسون» الذي قفز إلى ذراع الأريكة. مدت يدها تربت على القط الذي أنقذته منذ أسبوع والذي كان جائعاً يثير الشفقة بحيث لم تستطع أن تتخلى عنه. ربتت عليه وهي تحدثه: «مرحباً يا طفلي، أين كنت حين احتجت إلى مساعدة في أكل شرائح ديك الحبش اللذيذ تلك؟».

أخذ القط يموء وكأنه يجيبها واستطاعت كيم أن تبتسم: «نعم، لا تقلق فقد ألقيت بالطعام السيء بعيداً».

أطعمته بعض الآيس كريم بإصبعها قائلة: «خذ هذا احتفالاً بعيد الشكر، يا حبيبي جاكسون».

وعبست وهي تتساءل للمرة الألف عما جعلها تطلق اسم جاكس على القط؟ ولماذا تذكر نفسها في كل دقيقة بالرجل الذي يُفترض أن تنساه؟ وعادت تحدث الحيوان: «ربما لأنني أريد رفيقاً ولطالما كان جاكس هو الرفيق. والآن، وبعد أن أبعدته عن ذهني أنت رفيقي المفضّل.. العادات القديمة لا تموت بسهولة كما أظن».

يا للسخرية.. أبعدته عن ذهنها؟ وكأن هذا ممكن.. إنه أشبه

بمحاولتها أن تعيش من دون تنفس..

أخذت تأكل بذهن غائب، قريب من الغضب، حتى أخذ رأسها يؤلمها.

بعدئذ حملت العلبة وسارت بها إلى المطبخ فيما راح القط يموء محتجاً فقالت له: «آسفة أيها الصغير لكن الأم الجيدة لا تسمح لقطها بالإكثار من أكل الحلوى لأنها مضرّة لأسنانك».

ألقت بالشوكة في الحوض ووضعت الآيس كريم في الثلاجة ثم عادت إلى الأريكة ووضعت القط على حجرها وهي تمر بيدها على ظهره: «كما أنني أيها الفتى أنوي أن أكون أماً طيبة... لك..».

وتنهدت وقبلت رأس جاكسون الرمادي: «على أيّ حال، ستكون أنت الخطوة الأولى لي فأنا لم أهتم قط من قبل برعاية أحد عدا نفسي وقد حان الوقت لذلك، أليس كذلك؟».

وشعرت بخرير القط من خلال يديها وعلى صدرها، لكنها تابعت وكأنه غير مستغرق في نوم سعيد: «أعرف ما ستقول وهو أن استئجار هذا الأثاث لا يشير إلى الالتزام لكني كنت كالمخبولة عندما تركت منزل جاكس وجئت إلى هنا؟».

ونظرت من حولها إلى الأثاث بلونه الوردي وحمدت الله على أنه مستأجر.

نبذت خوفها من المجهول الذي ينتظرها لتركز على القط. كان قد أخافها إحضار هذا الحيوان الصغير الهزيل إلى شقتها، لكنها الآن وبعد أسبوع واحد فقط، لم تعد تعرف ماذا تفعل من دونه. كان بالغ الحلاوة والمحبة، ومجرد التربيت عليه وسماع

www.elromancia.com

خريره يساعدها على التخلص من قلقها.

وقالت مازحة، محاولة أن تحسن مزاجها: «نعم يا من يحب نشر ورق المرحاض وتمزيقه. يبدو أن القطط كالاطفال في تصرفاتهم».

وتمددت على الأريكة وأخذت تحدق في السقف حاملة جاكس.

كم هو مبلغ التعاسة والوحدة والفراغ الذي عليها أن تشعر بها قبل أن تبدأ بنسيانه؟ إلى متى بالضبط عليها أن تتألم وتتعذب قبل أن يبدأ حزنها لخسارته في التلاشي؟ أتراها ستتشوق إلى نبرات صوته وضحكته، ورائحته لأشهر؟ أم لسنوات؟ الى متى سيستمر قلبها في الخفقان شوقاً إلى تلك اللحظات الصامتة عندما كانا يتعانقان راضيين شاعرين بالسكينة؟ ليوم أو يومين أم إلى الابد؟

لقد أعلن لها جاكس حبه بوضوح فتملكها الرعب وهربت كعادتها حين تواجه رجالاً يبدون رغبتهم في الالتزام باستثناء بيري الذي تركها قبل أن تتمكّن من تركه.

كانت تعيسة للغاية أثناء الاسابيع الماضية وفعلت ما لا يمكن تصوره. تركت العمل، ألغت اتفاقاتها، وانحدرت إلى عزلة عاشت فيها الإشفاق على نفسها. حصل هذا منذ أسبوعين بعد أن أصيبت بانفلونزا لأيام وأيام.

سالت من عينها دمعة على صدغها وذابت في شعرها. وماذا عن جاكس؟ لقد قررت ألاّ تزعجه مجدداً منذ أدركت انها آلمته مرات كثيرة من قبل لكن هل ستتمكن من الاحتمال؟ هل سيكون الاتصال به صعباً إذا قررت أنها لا تستطيع المضي قدماً من دونه

وأنّ الحياة لا طعم لها من غيره؟ كم كان مبلغ غضبه ومبلغ ألمه؟ أتراها قتلت أخيراً حبه لها بهربها وتحذيرها له بألاّ يتبعها؟ هل سيخبرها أنه يكرهها؟ لكنه لم يستقل أول طائرة ليعيدها إليه راغباً في الزواج منها وإنشاء أسرة كما اعترف في شهر تشرين أول؟

إذا أراد هذا كله، ماذا عليها أن تفعل؟ هل الزواج هو ما تريد؟ الزواج بكل ما تعرفه عنه من أفخاخ وخداع وأقنعة ونهايات بشعة؟

وإذا جاء فهل ستستسلم لسحره وهذا ما لا مناص منه باعتبار وضعها الحالي؟ ماذا لو بعد شهر أو سنة ابتدأت تشعر بالاختناق والكآبة والانزعاج من صفاته البسيطة المزعجة مثل... وأخذت تفكر محاولة أن تتذكر تلك الصفات.. تبا لك يا جاكس! لماذا ليس لديك أي صفات مزعجة؟ كم هذا مزعج!

تحرك القط داساً رأسه في عنقها، وابتسمت له:

- لا بأس سأسكت.

ومسحت دمعة ثم أضافت: «أنا في مستنقع عاطفي وأنت أفضل أصدقائي كما تعلم. ما الذي علي أن أفعله برأيك؟».

استمر القط في خريره ولم يبد أيّ اهتمام بمشكلتها فأغمضت عينيها وهمست: «مشكلة جاكس».

عندها فكرت في الشفاء والمواساة بعد أن هجرها بيري، فنسيت بيري لحظة ألقت بنفسها بين ذراعي جاكس و ها هي تدرك الآن أن حزنها كان على كرامتها المحطمة وليس على شخص أحبته فهي لم تحب بيري قط. لكن ألم يكن هذا مبدأها دوماً وهو ألاّ تتعلق برجل بحيث لا تستطيع أن تتركه في لحظة؟

ولقد أطاحت بهذه القاعدة رغماً عنها حين وقعت في غرام جاكس. كانت في حاجة إليه طيلة حياتها أولاً كصديق ثم كملجأ وأخيرا كحبيب رقيق. قالت لجاكسون وهي تربت عليه: «أنا لا ألومك لأنك لم تساعدني في حل مشكلة جاكس. على أيّ حال قال بيطري إن سنك لا يتجاوز العشرة أسابيع، ماذا تستطيع أن تفعل لامرأة شارفت على الثلاثين؟».

أخذت تمر بيدها على ظهر جاكسون لدقائق قبل أن تعود فتقول: «أفهم يا صغيري ما تريد أن تقوله. لعلك تحمل اسم جاكس ولكن أن تحبه بشكل غير محدود فهذه مشكلتي أنا».

تحبه بشكل غير محدود؟ وهل هذا ممكن؟ أن تحب شخصاً بشكل غير محدود؟ وانتصبت جالسة فجأة وقد أضاء ذهنها بشكل يعمي العيون ثم وضعت القط على الأريكة وهي تقول لاهثة: «أتاني الإلهام فجأة وهذا لا يحدث كثيراً بل إنها المرة الأولى...».

وقفزت وأخذت تتمشى وهي تتابع حديثها: «لا بأس، ليست لعنة فظيعة أن أحب شخصاً ثم أن»....

وتخللت شعرها بيديهاوقد اضطرب ذهنها وهتف بها هاتف:

- أنت لا تحبينه بشكل غير محدود يا كمبرلي. أنت تحبينه وحسب. هذا كل ما في الأمر.

ترنحت وهي تسير فتمسكت بالرف الخشبي فوق المدفأة وهمست: «هل أنا أحب جاكس فقط؟ نعم أنا أحبه ليس كصديق فقط، أو مجرد ملجأ في حياتي من عواصف الحياة أو حتى مجرد حبيب بل حباً حقيقياً مثل حبيبين خلقهما الله ليكونا معاً، يحبان

بعضهما البعض، يتشاجران ثم يتصالحان. حبيبان يهتمان ببعضهما البعض في السعادة والحزن والصحة والمرض».

فكرت في أولئك الأزواج المسنين الذين تراهم في الحدائق العامة ممسكين بأيدي بعضهم البعض وما زالوا يحبون بعضهم رغم بلوغهم الخمسين أو حتى السبعين. يبدو هذا سهلاً للغاية. لِمَ لم ترَ يوماً ما كان موجوداً طوال حياتها وقريباً منها؟ لِمَ لم تلحظه إلاّ حين حاولت أن تتركه خلفها؟ عندئذ شعرت بألم انشطار حياتها إلى نصفين وحدثت نفسها بحرارة بأن جاكس هو نصفها الآخر، وهو مكمل لها. من دونه ستعيش تعيسة ومحطمة. كانت قد سمعت في مكان ما أنّ الحقيقة تحرر الإنسان وهذا صحيح.

اعترفت بينها وبين نفسها بأنها تحبه كما لم تحب شخصاً آخر كما أن جاكس أحبها كما لم يحبها أي شخص. كنت خائفة من الالتزام فيما أنا ملتزمة بحبه. وغطت وجهها براحتيها..كم كنت غبية.... حمقاء!

صدمها صوت جرس الباب فرفعت رأسها وأخذت تحدق فيه. من هو ذاك الفظ الذي يأتي إليها في مثل هذا الوقت من دون سابق إنذار؟ وصاحت: «ابتعد من هنا»..!

- افتحي الباب يا كيم.

توترت أعصابها وارتفع خفقان قلبها. ذاك الصوت؟ لا يمكن أن يكون سوى جاكس. أرادت أن تركض لكنها لم تستطع أن تجيب وبقيت تحدق بصمت وعينين جاحظتين.

- كيم.

وسكت لحظة ثم عاد يقول: «لن أذهب. إذا لم تفتحي الباب فسأكسره».

لكن كل ما استطاعت ان تنطق به: «تك.....تك.؟».

- سأعطيك عشر ثوان لتفتحي الباب. لا تدعيني أحطمه؟

وصرخت في داخلها... نعم نعم يا حبيبي حطمه.

لم تستطع النطق وبقيت جامدة مكانها واعية تماماً ومنتظرة تدعو الله من أعماق روحها أن يكون شاهداً على تحطم بابها.

وأخذ يعد: «عشرة... تسعة.. ثمانية...».

غشي الدمع عينيها فحجب عنها الباب واختلطت مشاعرها بين الشوق وعدم التصديق. هل هو حقاً هنا؟ هل سيحطم بابها؟ لم تتذكر أنها رأت جاكس مرة بمثل هذا الغضب، لكنها لم تكن خائفة. أحبت غضبه لأنها أدركت أنه ناتج عن حب وإحباط ورغبة. ورحبت به وصرخ قلبها: أنا أحبك يا جاكس.. بما يكفي... ليدوم إلى الابد.

- سبعة... ستة..

سالت دموعها لحضوره اليوم بالذات... في اللحظة التي تبددت فيها أوهامها. ما سبب هذا الدوار؟ تعال إلي يا جاكس! خذني بين ذراعيك. لن أحرمك من حبي مرة أخرى.

- أربعة... ثلاثة.

لم تسمعه يقول واحد فتفجر الشظايا الخشبية حجب الصوت. ولم تستطع أن تراه بوضوح من خلال دموع الفرح، لكن ها هو بقامته الطويلة.

جمد مكانه عندما رآها فيما أخذت تخفق بأهدابها لكي

تستطيع أن تراه بوضوح. كان واقفاً بتماسك، بالغ الوسامة، مقطباً ليس غضباً بل اهتماماً. كانت عيناه السوداوان اللتان تتأملانها تنطقان بمزيج من الحذر والرغبة.

قالت بوهن: «مرحباً جاكس».

تحرك فكه وكأنه يصرف بأسنانه ثم تقدم نحوها فلاحظت أنه يعرج وقال: «لا تنطقي بكلمة حتى أخبرك ما جئت لأخبرك به».

- هل أصبت بأذى؟

- لعلي كسرت قدمي. لا تتكلمي حتى...

تجاهلت أوامره وأمسكت بذراعه لكي تساعده على السير وهي تقول: «تعال اجلس وأرح قدمك».

- لا بأس. تباً لها! علي أن أتحدث إليك.

ساعدته على الجلوس وهي تجيبه: «قل ما تريد».

جلست بقربه لكنها عادت فوقفت، قائلة: «ثلج».

ركضت إلى المطبخ وتناولت منشفة ثم وضعت قطع الثلج عليها فيما صاح بها: «ما الذي تفعلينه؟».

- يجب وضع الثلج على قدمك تلك. اخلع حذاءك وارفع قدمك.

أسرعت عائدة ثم أمسكت بقدمه ورفعتها ثم خلعت فردة حذائه وعندما تأوه قالت: «آسفة».

ناولته المنشفة المليئة بقطع الثلج: «ضع هذه على قدمك لئلا تتورم».

شعرت بخفة بالغة وكأنها تطير تقريباً، وبدا لها أن المعجزات تحدث حقاً. نظر إليها عابساً وسأل: «هل أستطيع أن أتحدث؟».

ابتسمت وجذبت كرسياً جلست عليه: «بكل تأكيد. الارض ملكك».

وازداد تقطيباً فأومات مشجعة: «تكلّم أنا أصغي».

- تركتك تخرجين من حياتي لآخر مرة يا كيم، منحتك بعض الوقت. لم أكن أريد ذلك لكني فعلت.

- كيلا تشنقني؟

- ماذا؟

- هجرتك بطريقة جبانة متباكية شاكية وما أعنيه هو أنك منحتني بعض الوقت لكي تهدأ مشاعرك.

حدق فيها لحظة بصمت ثم لوح بيده ساخطاً: «هل لك أن تهدئي لحظة؟».

عضت شفتها لتبقى لحظة صامتة فوجود جاكس هنا جعلها من السعادة بحيث أرادت أن تتكلم. لقد طال فراقهما وكان شوقها إليه بالغاً.

- حسناً، لقد منحتك بعض الوقت لكي تكتشفي مدى شوقك اليّ.

لم تقل شيئاً لكنها رفعت حاجبيها فقال وهو يلقي المنشفة أرضاً: «منحتك كل الوقت الذي أستطيع أن أحتمله وأنا هنا لأقول لك إنك مخطئة بالنسبة إلى الزواج والالتزام. انت مخطئة للغاية يا كيم. ،لكنني لا أدري كيف أقنعك. لقد فكرت وفكرت وأنا مستعد لأن أقطع ذراعي إذا كان هذا يقنعك أن بإمكان الناس أن يعيشوا مع بعضهم البعض. يمكنهم أن يتشاجروا لكنهم يسوون الأمور، يمكنهم أن يبقوا مع بعضهم البعض حتى لو بردت

مشاعرهم لأنهم يهتمون ببعضهم البعض كأناس، وأصدقاء وبشر».

وتابع يقول فيما هي مستمتعة بالعاطفة القوية في صوته وعينيه: «أنت تعلمين أن أبوي كانا يتشاجران لكنهما لم يذهبا قط إلى فراشهما والغضب يتملكهما لأنهما يريدان أن يبقيا معاً، لم يكونا مغرومين ببعضهما البعض لكن مودة عميقة جمعتهما».

وضغط بيده على خدها ثم أخذ يتخلل شعرها بيده قبل أن يسألها: «ثمة مودة عميقة بيننا نحن أيضاً، أليس كذلك؟».

فأومأت برأسها وهي تغص بريقها.

- لقد تشاجرنا لكننا عدنا فتصالحنا.

أغرورقت عيناها بالدموع وهمست: «نعم».

وسالت دمعة على خدها فمسحها بإبهامه: «لا تبكي يا كيم. ثقي بي فلا شيء مؤكد في الحياة».

ولمعت عيناه بمشاعر ملتهبة وهو يتابع: «صدقيني، أنا لا أكترث لشيء ما دمنا معاً. ما الذي تريدينني أن أفعله لاثبت لك ذلك؟».

وضعت أصابعها على شفتيه وقالت: «المسألة ليست في إثبات شيء».

أزاح يدها عن فمه ليقول: «امنحيني فرصة .تزوجيني وأشهد الله أن نبقى معاً حتى نحتفل بعيد زواجنا الخمسين».

مرت بإصبعها على جبينه المقطب وسألته: «هل لديك حساسية على القطط؟».

- ماذا؟ وما علاقة هذا بموضوعنا؟

- لدينا قط.

نظر إليها بقلق: «هل قلت لدينا؟ من تعنين؟».

أدركت أنه يظن أنها تشير الى رجل جديد في حياتها فألقت بيديها على كتفيه تطمئنه وهزت رأسها: «أعني أنا وأنت. لم يصبح قطاً بعد. إنه قطيطة جزء من أسرتي».

شعرت بسرور وتسلية وهي ترى رد فعله على قولها هذا. بدا كما لو أنها أخبرته أنها تحبه. مرت بيديها على كتفيه نزولاً الى ذراعيه وأضافت: «أنا أحبك يا جاكس ليس كصديق فقط. أظنني كنت بحاجة الى تلك الأسابيع الفظيعة بوحشتها لكي أكتشف حقيقة لطالما شعرت بها في أعماقي».

ووضعت خدها على كتفه مردفة: «هذه الحقيقة هي أنني ملتزمة بك. أظنك أنت أيضاً كذلك».

حملها بين ذراعيه ليرى وجهها وقد بدت الصدمة على ملامحه فضحكت: «هذا لا يعني أنني لم أستمتع بتحطيمك لبابي. كان ذلك عملاً ظريفاً».

قطب جبينه: «ظريف؟».

- كنت على وشك الاتصال بك عندما طرقت بابي.

سألها مذهولاً: «أحقاً؟».

لم تجب بل عانقته وقد تملكها في تلك اللحظة إحساس بالتوحد معه، وأدركت فجأة أنها لن تشعر بعد اليوم بالوحدة والانهيار لأن هذا الرجل سيكون بجانبها فهو فارسها. وقالت ببساطة: «أحبك».

- يا إلهي! لم أتوقع قط أن اكون سعيداً بهذا الشكل.

قالت وهي تعانقه: «ولا أنا. لكنني أظن أن بإمكاننا أن نتعلم كيف نحتمل ذلك».

ضحك مرة أخرى وقبل صدغها: «أحبك الى حد الالم».

تأملها لحظة قبل أن يضيف: «لِمَ لا نخرج لتناول العشاء والإحتفال؟».

أعجبتها الفكرة لكنها قالت: «هذا اذا كانوا يقبلون القطط».

- القطط؟

- هل نسيت أن لدينا واحداً. إما أن تخرج الأسرة كلها وإما أن تبقى.

نظر إليها طويلاً ثم قبّل أنفها: «طبعاً سيذهب معنا».

- كيف حال قدمك؟

- أي قدم؟

فضحكت: «قدمك المكسورة».

فقال بذهن شارد: «إنها عظيمة».

وجذبها يعيدها الى حضنه مضيفاً: «أحضري القط يا حبيبتي. سأستدعي من يصلح الباب».

- في يوم عيد الشكر.

- أظن أنّ بإمكاننا أن ننتظر إلى الغد. هذا الأثاث الوردي آمن.

- ألم يعجبك؟

قبل يدها وهمس: «بل أحب كل قطعة منه».

- إنه مستأجر.

- الحمد لله.

www.elromancia.com

طوقت عنقه بذراعيها ثم ابتعدت بسرعة قبل أن تفقد صوابها وقالت:

- سأعود حالاً مع جاكسون.

- جاكسون؟

وقفت عند باب الغرفة: «كنت بحاجة إلى صديق...».

أشارت برأسها الى غرفة النوم مضيفة: «إنه صغير السن ويمكنه أن يعتاد على اسم جديد. ما رأيك في سبايك؟».

- يعجبني.

ابتسمت ابتسامة مشرقة وجاهدت بكل ما لديها من عزم كيلا تهرع إليه وتلقي بنفسها بين ذراعيه.

- لدي الكثير لأشكر الله عليه، واعظم نعمة مباركة من الله هي حبيبي جاكس.

www.elromancia.com